سمر أسرة مسلمة

العقيدة الإسلامية بأسلوب ميسّر

تأليف

الشيخ العلامة / علي يحيى معمر

تحقيق وتقديم

باعمي محمد بن موسى

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع



مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

ص ب: ٢ السيب - الرمز البريدي: ١٢١

سلطنة عمان

هاتف/ ٩٧٢٦١٧٥

سمر أسرة مسلمة

الطبعة الثالثة

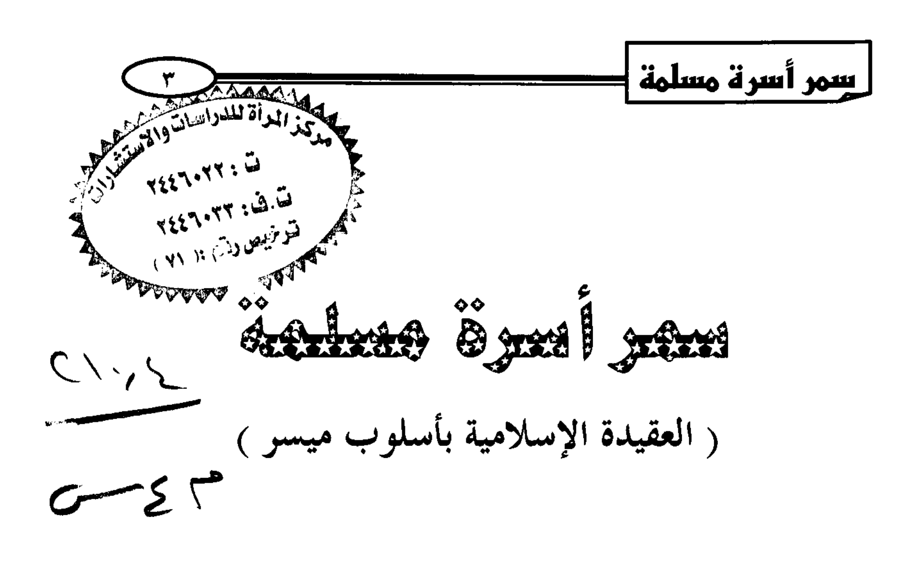
١٤٢٥ هـ -٢٠٠٤م

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

هاتف ٩٧٢٦١٧٥

ص ب ٢ السيب الرمز البريدي ١٢١

سلطنة عمان



سمر أسرة مسلمة

(العقيدة الإسلامية بأسلوب ميسر)

تأليف

الشيخ العلامة / علي يحيى معمر

تحقيق وتقديم

محمد بن موسى بابا عمي

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

سلطنة عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

بسم الله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، إنه المعين والهادي لسواء السبيل، ونصلي ونسلم على سيد الأنام محمد الآمين .

أما بعد : فلما كان علم العقيدة أشرف علم على الإطلاق ، وكان وعيه واجباً على الأمة الإسلامية صغيرها وكبيرها ، ذكرنا واناثاها ، فإن مسؤولية تبليغه لا تزال عالقة بأعناق وأسس هذه العقيدة بكل الوسائل الحسنة ، والطرق المستجدة .

غير أن المطلع على المكتبة الإسلامية ينقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسير، عندما يتبين أن كتب العقيدة عُقدت ودخلت ضمن المضنون به على غير أهله، وأصيب هذا العلم بأرستقراطية خاصة الخواص ، فلا يكاد الشاب المسلم يتحصل على كتاب سهل العبارة حسن السبك ، وبالمقابل نجده يطالع كل العلوم والفنون الصادرة من الغرب ، بأسلوب يسير ، وطبع راق ، ومنهجية محكمة، فيغترب بالتالي سلوكا تبعاً لاغترابه تربية وثقافة ولا يحق لنا أمام تقاعسنا عن واجبنا إلا أن تقبل الواقع المر ونتجرعه ولا نكاد نسغبه .. وهكذا مآل الضعفاء .

والحق أن علماء هذا القرن حاولوا الخروج من هذه الأرستقراطية المقيتة، ووضعوا كتباً للصغار في شتى المبادئ الإسلامية من أخلاق وتربية إلى صلاة وزكاة ..

ومن هؤلاء العلامة علي يحي معمر، الذي سخر قلمه لتبسيط علوم الشريعة في أشكال مختلفة وألف في ذلك .

من الكتب : سمر أسرة مسلمة .

الأقانيم الثلاثة .

من الوسائل : مسلم لكنه يحلق ريدخن .

من المقالات : الطفل والقرآن الكريم .

من المسرحيات : مسرحية " ذي قار " ذات المغزى السياسي .

مسرحية " مخسن " .

من الأناشيد : قصائد كان ينشرها ضي مجلة " الشباب " وغيرها .

وقد طبعت بعض أعماله وبقيت أخرى في الجهالة والنسيان ، ومما طبع عدة مرات كتابه (سمر أسرة مسلمة) الذي نفذ من السوق ككل كتبه ، وكثر الإلحاح على أستاذنا د. محمد ناصر لطبعه مرة أخرى تحت رعاية جمعية التراث ، ولكن أستاذنا رغب في طبعه في شكل جديد وإدخال بعض التحسينات المنهجية عليه ، فلم يسعفه الوقت لذلك ، واسند إلي هذه المهمة الشاقة التي قبلتها على مضدد ، خشية التعثر ، وتوكلت على الله ، وكان لي في الكتاب من العمل ما يلي :

١- أضفت إلى عنوانه سمر أسرة مسلمة عبارة ــ (العقيدة الإسلامية بأسلوب ميسر) لأن العنوان على أصله لا يجد موضوع الكتاب ، فقد يكون الكتاب عرضا لطريقة السمر ونوعينه وتوجيهه ، وقد يكون السمر في الأخلاق والفقه أو غيرها من العلوم ..

٢- خرجت ما لم يخرج من آياته .

٣- خرجت أحاديثه تخريجاً منهجياً لا حديثياً .

٤- وثقت النصوص التي استشهد بها من عناوين شتى .

٥- ترجمت للاعلام والأماكن الوارد ذكرها .

٦- صححت الأخطاء المطبعية ، وقد استرعى انتباهي كثرتها .

٧- شرحت المفردات المستعصية شرحاً موجزاً ، مساهمة في إثراء قاموس القارئ والطالب .

٨- وأخيراً وضعت عناوين للمواضيع التي تنازلها كل ليلة من الليالي السمر ، فاثبت عناوين كل ليلة أمامها وجمعتها في الفهرست بعد ذلك .. ليصبح الكتاب مرجعاً سهل التداول والاستفادة .

وقد عرضت العمل على أستاذي الدكتور محمد ناصر فوافق عليه وباركه ، وتقدمت إلى طبعه وأنا على يقين من قصر باعي وضعف متاعي ، غير أن حبي للعقيدة ورغبتي الملحة في إيصالها إلى ناشئتنا الإسلامية دفعاني إلى التقدم ، وحسبي أني اجتهدت ومن الله أطلب التوفيق والسداد .

الشيخ علي يحي معمر في سطور[١]

مولده ودراسته :

- ولد علي يحي معمـــر بمدينة (نالوت) بالجماهيرية الليبية سنة ١٩١٩م ، من أبوين متوسطي الحال ، وفي عائلة محافظة متدينة .
- تعلم مبادئ القراءة والكتابة في كتاب قرية (تكويت) بضواحي نالوت .
- ثم دخل المدرسة الابتدائية التي فتحتها إيطاليا ، وأظهر نبوغاً مبكراً .
- وبقدوم العالم رمضان بن يحي الليني الجربي من جربة إلى ليبيا أقام حلقات في الفقه الإباضي ، وانضم إليها معمر ولازم شيخه في أوقات فراغه .
- في سنة ١٩٢٧ سافر إلى جربة ملتحقاً بحلقات الشيخ الليني .
- ثم انتقل بعد ذلك إلى جامع الزيتونة .
- وفي سنة ١٩٣٧ سافر إلى الجزائر قاصداً معهد الحياة بالقرارة وفيها حط رحاله ، وأقام سبع سنوات ، ومن أبرز أساتذته الشيخ بيوض رحمه الله والشيخ عدون حفظه الله .

---

١) اعتمدنا أساساً على ترجمة الأستاذ محمد ناصر بوحجام في مقدمة تحقيقه لكتاب " الإباضية دراسة مركزة " وعلى ملحق السيد للشيخ أبي اليقظان رحمه الله . فمن آراء التوسع رجع إلى مصدره .

نشاطــه وانتــاجــه :

– عندما كان طالباً بعهد الحياة شارك في جميع أنشطته ، من دروس وجمعيات أدبية ، وفرق فنية ورياضية ومسرحية .

– برجوعه إلى ليبيا سنة ١٩٤٥م ، شرع في الرفع من مستوى الشباب علمياً وفكرياً ، وانشأ مجلة (اليراع) .

– دخل ميدان التدريس فارتقى فيه من مدرس إلى دير مدرسة إلى موجه تربوية (مفتش) إلى موثق تربوي ، وأخيراً استقر في طرابلس كموظف مرموق بأمانة التربية والتعليم .

– كان يلقي المواعظ والدروس بالمساجد .

– كان شاعراً وأديباً ، ورخاً وناقداً ، وفوق كل ذلك كان مفت ومتخصص في علوم الشريعة .

– له إنتاج غزير في شتى الميادين ، بمختلف الأشكال [١].

ومن المؤسف أن تكون جل المؤلفات التي وضعها رهن الأرفف والنسيان و لم يطبع منها إلا الترر اليســير وادعو الباحثين إلى السـعي في جمع إنتاجه تحت عنوان : (الأعمال الكاملة للشيخ علي بن يحي معمر) ولا شك أنها ستثري المكتبة الإسلامية .

علي يحي معمر ودعواته لوحدة الأمة :

جمع الأستاذ علي يحي معمر إلى تواضعه وغزارة علمه صفات عديدة ولعل أبرزها بعد النظر وسعة الأفق ، فنجده في جميع أعماله يدعو إلى وحدة صف المسلمين ونبذ الخلافات الجزئية ، وهو الذي قنن الفرق نظرية (المعرفة والتعارف والاعتراف) في مقدمة

(١) أنظر قائمة مؤلفاته التي جمعها الأستاذ بوحجام .

كتابه (الإباضية بين الفرق الإسلامية) فنجده يقول : إن المذهبية في الأمة الإسلامية لا تتحطم بالقوة ولا تتحطم بالحجة ، ولا تتحطم بالقانون ، فإن هذه الوسائل لا تزيدها إلا شدة في التعصب وقوة في رد الفعل ، وإنما تتحطم المذهبية بالمعرفة ، والتعارف والاعتراف ، فالمعرفة يفهم كل واحد ما يتمسك به الآخرون ، ولماذا يتمسكون به ، وبالتعارف يشتركون في السلوك والأداء الجماعي للعبادات وبالاعتراف يتقبل كل واحد منهم مسلك الآخر برضى ويعطيه مثل الذي يعطيه لنفسه [1].

وفـــاتـــه :

توفي يوم الثلاثاء ٢٧ صفر ١٤٥٥٥هـ الموافق ١٥ جانفي ١٩٨٠ على الساعة الحادية عشرة ، رحمه الله وأكنه الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء آمين .

(١) الإباضية بين الفرق الإسلامية ، طبع جمعية التراث ص٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

(سورة الكهف ١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَـدِّمَة

كان كثير من أبنائي طلاب المدارس في المرحلتين الإعدادية والثانوية يناقشونني في بعض مسائل التوحيد ويطلبون إلي أن أدلهم على الكتب التي يرجعون إليها في دراسة هذه المواضيع ، فكنت أرشدهم إلى بعض ما أعرف من الكتب ، ولكنهم سرعان ما يعودون إلي متألين ، يذكرون أن أساليب تلك الكتب تلتوي على أفهامهم ، وتستعصي على مداركهم لا سيما وانهم لم يدرسوا علم الكلام على مشايخه ، ولم يعرفوا كثيرا من المصطلحات الفنية التي ترد في تلك لكتب .

وكنت أتألم أولئك الطلاب الذين يبحثون عن الهداية ويتلمسون طريق المعرفة ، فتصدهم عقبات لا يقوون على تذليلها ، فكرت في الموضوع تفكيراً جديا حينما زارني جمع منهم إلى بيتي وحملوني مسؤولية تذليل هذه العقبة أمامهم زملائهم الكثيرين .

وأعترف إنني كنت شديد الرغبة لتحقيق طلبهم ولكنني في نفس الوقت كنت شديد الخشية من حمل هذا الثقل الذي أعرف أنني قد أتعثر به ولا أنهض ، وحاولت أن ألقيه على غيري ممن أكثر كفاءة ومقدرة ولكنني لم أوفق في ذلك ، وأصبح الموضوع واجباً عينيا على فاستخرت الله وأقدمت .

رجعت إلى كثير من كتب الفقه والتوحيد عند كتابة هذه الفصول غير أنني اعتمدت فيما رجحته من الآراء على الكتب الآتية : عقيدة التوحيد وشروحها [1]، كتب فيلسوف

---

(١) عقيدة التوحيد لأبي حفص عمرو بن جميع ، لها شروح عدة ، وهي كالتالي :

أ- شرح أبي العباس أحمد الشماخي .

ب- شرح أبي سليمان داود بن إبراهيم التلاتي .

ج _ نظم التحقيق في عقود التعليق لعمرو بن رمضان التلاتي .

د – اللؤلؤة المضيئة على متن العقيدة و " عمدة المريد لنكتة التوحيد " للتلاتي .

للتوسع أنظر " البعد الحضاري للعقيدة الأباضية (ال د/ فرحات الجعبيري) .

وأبو حفص عمرو بن جميع صاحب المقدمة من علماء النصف الثاني من القرن ٧ / ١٣ .

الإسلام أبي طاهر الجيطالي [1]في ظلال القرآن للأســتاذ يسد قطب [2]مسند الربيع بن حبيب ، وقد رأيت أن أسوق المباحث على طريقة الحوار ظنا مني أنها قد تكون أخف على الطالب وأشوق له لكي يواصل القراءة .

وأنا حين أقدم الكتاب لأبنائي الطلبة ولغيرهم ممن يستهويهم كل ما تخرجه المكتبة الإسلامية آمل أن يجدوا فيه كثيرا من حقائق التوحيد معروضة عرضا واضحا بأسلوب سهل ، وقد يرى بعض القراء الكرام أن في الكتاب بعض الإعادة والتكرار وقد قصدت ذلك لترسيخ بعض المعلومات على ذهن القارئ العادي الذي لم يدرس علم التوحيد دراسة مستفيضة على مشايخ الفقه، وقد يجد القارئ الكريم بعض المناقشات عن مسائل لا تتعلق بالتوحيد إلا أنها تدخل في الثقافة الإسلامية العامة ساقني إليها أسلوب الحوار الذي اعتمدت عليه في الكتاب وارتباطها ارتباطا قويا أو ضعيفا بأصل الموضوع .

عندما أتممت هذه الحلقة تركتها عندي و لم أجرؤ على تقديمها للطبع ، وكنت أمني نفسي أن أعرضها على بعض مشايخي الكرام ، حتى أستوثق من أن عملي هذا يجوز أن يظهر للناس ، وعندما سافرت في السنة الماضية إلى تونس والجزائر أخذتها معي ليطلع عليها أحدهم ولكن قصر المدة ، واشتغالهم بما هو أهم وأوكد ، حال دون الإطلاع عليها وإبداء الرأي فيها ، اللهم إلا بعض الفصول قرأتها على أستاذي الفاضل الشيخ عدون بن

---

(١) نذكر منها :

أ- قناطر الخيرات ثلاثة أجزاء ، حقق د / عمرو خليفة النامي الجزء الأول .

ب - قواعد الإسلام جزءان ، تحقيق عبدالرحمن بكلي .

وأبو طاهر إسماعيل الجيطالي (ت٧٥٠ / ١٣٠٠) هـ وللتوسع أنظر ترجمته في الجزء الأول من مؤلفه .

(٢) طبع " في ظلال القرآن " عدة مرات ، ويعد من التفاسير الأدبية ، ومن أهم ما ألف في القرن العشرين في التفسير . وسيد قطب (١٣٢٤-١٣٨٢ / ١٩٠٦ -١٩٦٧) . من رواد جماعة " الأخوان المسلمين " وله مؤلفات عدة منها " التصوير ٣٠ الفني في القرآن الكريم " . اعدمه جمال عبدالناصر ، واقيمت في ربوع البلاد الإسلامية صلاة الغائب على روحه .

بالحاج ونحن في السيارة ننتقل بين بعض المدن من وادي ميزاب العامر ، وقد استحسن ، حفظه الله ورعاه ، طريقة العرض وأسلوب الكتاب ، وأمرني بتقديمه للطبع حالا ، ولكنني مع ذلك بقيت مترددا حتى شرفنا هذه السنة بزيارته إلى ليبيا وأعاد أمره لي بطبع هذه الحلقة فلم يسعني إلا الامتثال .

وها أنا أقدم إليك أيها القارئ الكريم هذا العمل الضئيل فان ساعدك على الاستفادة ، ووجدت فيه حقا وعلما ، ويسر عليك مؤنة البحث فان الحمد الله على التوفيق ، وإن خيب ظنك ، وضيع وقتك ، فأنا اعتذر إليك ، عما ضيعت لك من وقت، وأخذت من مال ، وأطلب منك العفو والسماح ، فإنني معك في حال لا أستطيع أن أرد عليك الوقت الذي ضيعته منك ، ولا المال الذي أخذته منك .

وأخيراً ألجأ إليه سبحانه وتعالى أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم وأن يغفر لي الخطأ والزلل فانه الغفور الرحيم .

حفلة عيد الميلاد

قال نجيب قبل أن يذهب إلى المدرسة في الصباح :

هل تعرف يا أبي أن الليلة القادمة عيد ميلادي .

قال الأب : نعم أعرف أن الليلة القادمة هي عيد ميلادك ، فقد ولدت في مثلها ، وبذلك فقد أتممت اليوم ، السنة الرابعة عشر وستدخل في هذه الليلة السنة الخامسة عشر من عمرك السعيد .

قال نجيب : إذن ستوافق يا أبي على الحفلة الصغيرة التي سأقيها بهذه المناسبة لزملائي ، وستتحفني بهدية جميلة أزهو [1] بها على أقراني ، كما عودتني في أعياد ميلادي السابقة وستأذن لي أن اشتري شموعا لنوقدها ونطفئها كما يفعل المتحضرون ..

قال الأب : لا يا ولدي ! لا تقم الليلة حفلة لزملائك ، ولا تنتظر مني هدية كالهدايا السابقة ، ولا تشتر شموعا .. إن هناك شيئا أهم من ذلك .. يجب أن تعد له نفسك الليلة .

أحس نجيب أمل مرة ، فهذه أول مرة يجد من أبيه معارضة في رغبة معقولة ، وموضوع هام ، وصمت التلميذ الإعدادي يفكر في موقفه وموقف أبيه منه ، ومعارضته له في هذه النقطة بالذات ، لماذا يعارضه في إقامة الحفلة ؟ ولماذا يقطع عنه هذه العادة الجميلة ؟

هذه العادة التي طالما فرح بها ، وطرب لها ، وتاه بها على زملائه وأقرانه ، ما هو هذا الشيء الهام الذي يحول دون إقامة ؟ هل كان أبوه في مأزق حرج لم يسمع به و لم يتفطن له ؟ أم أن أباه رأى منه أو سمع في ما يسوءه فهو غير راض عنه ؟ وأحس الولد المؤدب أنه أطال الوقوف بجانب أبيه ، فحاول أن يعيد الحديث معه لعل الوالد الحنون يرجع عن رأيه ، أو لعله يفهم السبب لكن الوالد أجابه في وقار وتصميم :

---

(١) زهى : افتخر .

لا تفكر كثيرا ولدي .. أذهب الآن إلى مدرستك كما كنت تذهب في الأيام الماضية ، وعند الليل سوف نتحدث طويلا .

وهكذا الهارت الآمال الباسمة التي كانت تشرق في قلبه ، وطارت الأحلام الزاهية التي كانت تتراقص أمام عينيه ، وذابت الخيالات الجميلة التي كانت تملأ مخيلته ، وأعتمت الصورة[١] الحلوة التي رسمها الصبي الصغير وهو يفكر في دعوة الأتراب وحضور الأصحاب ، ودعابات الأصدقاء ، وضحكات الزملاء ، وجمال هدية الأب ، وإيقاد الشموع وإطفائها وقبلات الأم الحنون ، وتهاني الأصدقاء المخلصين

مزق نجيب الكشف الذي أعده حين كان يضع تصميم الحفلة ، وذهب مكتئبا إلى المدرسة ، فأمضى فترة الدراسة على مضض[٢] ، شارد الفكرة ، حائر النظر ، وما تمت فترة الدراسة حتى طار إلى البيت دون أن ينتظر الأصحاب

وكان يأمل أن يجد أباه قد غير من رأيه ووافق على مشروعه الصغير ، فدخل البيت وسلم على الأب والأم ، وانتظر .. أنتظر أن يبدأه أحدهما فيحدثه عن عيد ميلاده ، ولكن الأبوين لم يتحدثا عن هذا الموضوع ، كأهما كانا متفقين على عدم الخوض فيه ، استحي الولد المؤدب أن يسأل أباه من جديد ، وصبر على ألم ينتظر فرصة ينفرد فيها بأمه ليبثها أشجانه ، والأم دائماً هي مفرغ الشكوى لن قلبها كبير ، العامر بالحب والحنان يستطيع أن يلطف الآلام ويجنح الأحلام .. ولكن هذه الفرصة لم تسنح له ، فقد بقي الأبوان يتحدثان عن أمورهما العادية ، لا يشغلهما شيء حتى تم تناول الغذاء وما يتلوه ، وذهب الصبي إلى حجرته ليستريح قليلا من عناء دروسه اليومية .

قضى نجيب فترة الظهيرة ، ثم نهض مبلبل الفكر[١] ، شارد الذهن مشوش الخاطر ، محطم الآمال ، وتناول محفظته لينظر في واجباته المدرسية كما كان يفعل كل يوم ،

---

(١) أعتمت الصورة : مرت بها قطعة من الظلام .

(٢) المضض : الوجع من المصيبة .

(١) مبلبل الفكر : مختلط الفكر ومنه " تبلبت الألسن في بابل " أي اختلطت .

ولكنه وجد حالته النفسية لا تساعده على العمل ، انه لا يفهم ما يقرأ ، لأنه لا يستطيع أن يحصر فكره في موضوع من مواضيع الدراسة ، ولذلك فقد استأذن أباه في أن يقوم بنزهة قصيرة ينطلق فيها بين الحدائق يعب النسيم[٢] ، ويقطف الأزهار ، ويناجي الطيور .

(٢) يعب النسيم :يستنشقه بقوة .

الليلة الأولى

الغسل

البلوغ

الإيمان بالله بطريق العقل

الليلة الأولى

اجتمعت الأسرة المتكونة من نجيب وأبوبه ، بعد العشاء على إبريق من الشاي موضوع فوق الموقد ، وكانت الأم إلى ولدها في فخار واعتداد ، وكان الولد ينتظر ما تنفرج [1] عنه شفـــتا أبيه في ترقب ولهفة أما الأب فقد كان صامتاً يفكر في وقار ثم اتجه إلى ولده وقال في حنان بالغ :

نجيب ! ..

وكان الولد ينتظر هذه اللحظة في شوق ، فأجاب في أدب جم :

نعم يا أبي ! ..

قال الولد : قم يا ولدي إلى الحمام ، فأزل من بدنك كل نجاسة ، وتوضأ كما تتوضأ للصلاة ، ثم أفض الماء [2] على رأسك ثلاث مرات مبتدئاً من مقدمة ثم أفض الماء على جميع جسدك مقدماً الأعضاء العليا على السفلى واليمنى على اليسرى حتى تنتهي من قدميك وأنت في كل ذلك تدلك [3] ما يقع عليه الماء دلكا جيداً متواصلا لا تقطع بينه فإذا اغتسلت فالبس ثيابا طاهرة ، إما جديدة وأما غسيلة لم تلبس بعد ، وأقبل علينا فنحن في انتظارك

ولبث الولد ينظر إلى أبيه في حيرة وارتباك ، ما معنى كل هذا ، وهل يجد أبوه أم يمزح ؟ إنه لم يعتد أن يستحم في مثل هذا الوقت ، ثم إن أمه هي التي كانت تهتم بنظافته واستحمامه ، إن أباه لم يتول منه هذه الشؤون إلا مرة واحدة ، وذلك قبل أربع سنوات ، حين ناوله إبريقا من الماء وعلمه طريقة الاستنجاء والوضوء ثم دربه على الصلاة ، وبقي يراقبه فيها ثلاثة أيام متواليات .. ومنذ ذلك الحين لم يهتم بشؤون طهارته ولباسه . ولما

(١) تنفرج : تنطق ،كناية عن فتح الفم .

(٢) أفض الماء : أفرغه وأسكبه .

(٣) تدلك : تفرك .

وجد نجيب أن أباه بقي ينتظر منه إجابة الطلب ، قام متثاقلاً إلى تنفيذ هذه الرغبة الأبوية، وهو يرى في سلوك أبيه اليوم شذوذاً لم يجد له تفسيرا .

استحم نجيب بالطريقة التي علمها له أبوه ، ولبس ثيابا نظيفة ، وأقبل على أبويه فوجدهما في انتظاره يتحدثان ، وعندما أخذ مجلسه منهما قال له أبوه :

سألتني يا نجيب صباح اليوم إن كنت أذكر عيد ميلادك ؟

قال نجيب وهو ينظر إلى أبية في حيرة نعم يا أبي .

قال الأب : لقد ولدت يا نجيب منذ أربعة عشر عاما وقد انتهى عمرك اليوم كصبي ، وسيبتدئ عمرك السعيد كرجل .. إن هذه الليلة هي أول أعياد ميلادك كرجل..

وصمت الأب ليرى وقع كلماته على الولد المرتبك الحيران ..

وتتابعت الانفعالات على الطفل في سرعة ، وانقشعت[1] عن نفسه تلك الشكوك والريب التي كانت تسيطر عليه منذ الصباح ، وأدرك مغزى هذا السلوك من أبيه، فاستعد من جديد ليتلقى أنباء جديدة من هذا الوالد الكبير الحكيم ، ثم اتجه إليه في رغبة وشوق ليسمع المزيد ..

قال الولد لابنه : كنت تقيم الحفلات لزملائك في أعياد ميلادك يا بني حينما أولئك الأطفال زملاء لك ، أما اليوم فقد أمسيت ولست بزميل لهم ، انهم لا يزالون أطفالا ، أما أنت فقد صرت رجلاً ، وقد كنت آتيتك بهدايا في أعياد ميلادك كل سنة لأنك كنت طفلا ، أما في هذه الليلة فلم تعد طفلاً ، انك رجل مثلي ومثل غيرنا من الرجال .

قال الولد : ولكن يا أبي ! أيصير الطفل رجـــلا هكذا فجأة في لحظة واحدة؟ ..

---

(١) **انقشعت** : زالت .

قال الأب : إن الطفل لا يزال ينمو .. ينمو عقله ، وينمو جسمه ، حتى تظهر عليه علامة من علامـــات الرجولة ، فيعتبر رجلا ، وتلقى عليه أعبـــاء الرجال ..

قال الولد : وهل ظهرت علي تلك العلامات يا أبي ؟ ..

قال الأب : لقد اتضحت فيك بعض تلك العلامات يا ولدي ..

قال الولد : يسرني أن أعرفها إذا كانت مما يعرف ..

قال الأب : من واجب الآباء أن يتعهدوا [1]أبناءهم بالتربية والرعاية ، ومنذ تجاوزك العاشرة ، وأنا أتبعك بالملاحظة ، وأوصي أمك بمراقبتك ومعرفة أحوالك ، حتى لا تدخل سن الرجولة ونحن غير عالمين .

قال الولد : إنني لم أشعر بذلك منكما ..

قال الأب : ألا تذكر أنني لا مست أرنبة أنفك بسبابتي عدة مرات ؟

قال نجيب : أذكر ذلك ولكنني كنت أحسبك تداعبني بذلك ..

قال الأب : كنت أداعبك بذلك وفي نفس الوقت كنت أبحث عن إحدى علامات الرجولة أو علامات البلوغ كما تسمى في كتب الفقه ..

قال الولد : وهل تكون علامات الرجولة في أنف الإنسان .

قال الأب : إن الطفل عندما يدخل مرحلة الرجولة يفترق رأس أنفه فإذا وضعت إصبعك عليه أحسست بهذا الفرق أما الطفل فإن أرنبة أنفه لا تفترق ولذلك فعندما تلامسه لا تحس بذلك الفرق .

ورفع نجيب إصبعه يتحسس أرنبة أنفه ، وقرر أن يتأكد من صحة رأي أبية بأنوف زملائه في المدرسة ، وان يخبرهم بهذه المعلومات الجديدة ، ويتحسس أنوف الكبار والصغار منهم ، ثم اتجه إلى أبيه وهز رأسه كأنه يقول إنه متأكد من ذلك مقتنع به .

ولما أتم الولد تجربته الشخصية هذه استأنف الوالد حديثه فقال :

---

(١) يتعهدوا : يتفقدوا ويحتفظوا بهم .

ليست هذه هي العلامة الوحيدة للانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة .

قال الولد : وما هي العلامات الأخرى يا أبي ؟ ..

قال الأب : إن الطفل عندما يدخل مرحلة الرجولة ، يغلظ صوته ، وينبت الشعر في مغابن [(١)] جسده ، وقد يحلم بالأعمال الجنسية فيندفق منه ماء ثخين[(٢)] ن ذو رائحة ، وقد كنت أوصيت أمك أن تلاحظ ظهور هذه العلامات عليك ، فهي بحكم مراقبتها لنظافتك، وتوليها تنظيف ثياب نومك ترى آثار هذه العلامات عليك أكثر مما يمكن أن أفطن أنا لها ..

قال نجيب : هل هذه كل العلامات التي تفرق بين الطفولة والرجولة ؟

قال الأب : قد تتأخر هذه العلامات عن مواعيدها وكثيراً ما تتأخر ..

قال نجيب : إذا تأخرت هذه العمات عن موعدها فكيف يعرف الإنسان أنه أصبح رجلا ؟

قال الأب : إذا تأخرت هذه العلامات عن موعدها تأتي العلامة التي لا يمكن أن تتأخر لحظة واحدة .

قال نجيب : وما هي يا أبي ؟

قال الأب : الدخول في السنة الخامسة عشر من العمر .

قال نجيب : وبهذه العلامة الأخيرة التي لا تتأخر أمسيت اليوم رجلا ، وضحكت الأسرة. وأخذت الأم إبريق الشاي فأفرغت منه لزوجها ولولدها ولنفسها ثم أزاحت عنها الموقد وجلست في مكانها ليستمر سمر العائلة المسلمة

شعر نجيب أنه أصبح رجلا بعد حديث أبيه ، فاتخذ لنفسه سمت[(١)] الرجل الوقور، ثم اتجه إلى أمه التي تنظر إليه في حب وفخار وقال :

---

(١) مغابن : المغبن كل مطوّى من الجسد ، ويطلق على الإبط وعلى الرُّفغ .

(٢) ثخين : غليظ .

(١) سمت : هيئة .

لقد حدثني أبي يا أماه منذ هنيهة ، وأوضح لي العلامات الفارقة بين الطفولة والرجولة ، فما هو حديثك إلي لو كنت بنتا ؟

تبسم الوالد من سؤال ولده الطريف ، وتنهدت الأم في حسرة وألم تظهر ما في نفسها من مرارة لحرمانها من بنت جميلة تؤنس وحدتها وتساعدها في عملها ، وترث عنها خلقها وجمالها ، ثم اعتدلت في جلستها وقالت :

إننا نساعد الرجال في جميع الأعباء التي يتحملونها ، وقد نحملها عنهم ، ولكنهم لا يخففون عنا من أعبائنا شيئاً .

قال نجيب : وكيف ذلك يا أماه ؟

قالت الأم : لقد اعترف أبوك في حديثه السابق إليك بأنه يكل إلي جانبا عظيما من ملاحظتك والعناية بك .

قال نجيب : وهو ينظر إلى أبيه نظرة ذات معـــزى ذلك ما صرح به أبي .

قالت الأم : أنا على يقين لو أني رزقت بنتاً أن أباك لن تهتم مطلقا بملاحظة نموها وانتقالها في مراحل العمر ، كما كنت ألا حظك أنا .. ووجد الأب نفسه مضطراً إلى الدفاع عن نفسه فقال :

إن لكل واحد من الأبوين مهام يجب أن يقوم بها حسبما هيأته حكمة الخالق ، وواجبات الأسرة ، ولم تعن الأم بالرد على زوجها ، واسترسلت في حديثها قائلة : ولذلك فعندما تتجاوز بنتي سنتها العاشرة أتجه إليها بالملاحظة والمراقبة ، حتى أعرف مرحلة انتقالها من مرحلة الطفولة إلى المرحلة التي تصبح فيها امرأة تتعلق بها الحقوق والواجبات .

قال نجيب : وهل تكون للبنت علامات عندما تنتقل في مراحل العمر ؟

قالت الأم : نعم يا ولدي ! ينبت الشعر في مغابن جسدها ، ويتكعب ثدياها[1] ويترل منها دم يسمى دم الحيض ، وإذا تأخرت هذه العلامات فإن الدخول في السنة الخامسة

---

(١) تكعب الثديين : إذا نهد وأشرف .

عشر هي الحد النهائي الذي تصبح البنت بعده امرأة بالغة لها كل الحقوق وعليها جميع الواجبات .. وصمتت الأم كأنما رجعت بها الذكرى إلى حرمانها من فتاة ، فتحركت أشجانها[٢] وسبحت نظراتها رواء بعيد مجهول ..

واحترم نجيب هذا الصمت من أمه وعاد إلى أبيه يناقشه الحديث فقال : لقد أمرتني يا أبي منذ قليل بالاستحمام و لم أرك قبل تكلفني بمثل هذا ، ولا تهتم بنظافتي ، فهل لذلك من سبب ؟

قال الأب : إن هذا الاستحمام هو الفاصل بين حياتك طفلاً وحياتك رجلاً ، والاستحمام حين يقع على هذه الطريقة يسمى غسلاً أو اغتسالا .

ولما كنت ولدا مسلما ربيت في بيت مسلم بين أبوين مسلمين ، وكنت قد اقتبست من دينهما وأخلاقهما شيئا كثيراً ، رجوت أن تكون رجلاً مسلماً ، والإسلام دين لا يكلف الأطفال بالواجبات وإن كان يثيبهم على ما يقومون به من أعمال الخير ، ولكنه يطالب الرجال بالعمل منذ اللحظة الأولى .

ولما كنت أرجو أن تختار الإسلام دينا لك بعد أن أصبحت رجلاً وهو دين حريص جداً على الطهارة ، فقد أحببت أن تدخله طاهراً ، والطريقة التي أوضحتها لك هي طريقة التطهير في الإسلام ولا ينقص غسلك الذي قمت به إلا النية واستصحابها ، والنية ركن لا يقوم الغسل إلا بها بل هي شرط في صحة جميع الأعمال .

قال نجيب : لقد اخترت الإسلام دينا لي ، فهل يجب علي أن أعيد الغسل ما دام تنقصه النية وهي ركن لا يتم الغسل إلا به ؟

قال الأب : إن هذا قد يجب على مشرك أسلم ، ولكنك يا بني لم تكن مشركا نجسا ، ولكنك كنت طفلا غير مكلف ، وان أول ما يجب عليك بالبلوغ ليس هو الغسل، وما أمرتك به إلا ليكون هذا الطهر فاصلاً بين حياة غير مكلفة بواجبات ، وحياة

---

(٢) الشَّجن : الهم والحزن وهوى النفس .

أخرى عامرة بالإيمان والعمل الصالح أن شاء الله وربما أنني أريد أن أحدثك في هذه اللحظات الحاسمة في تاريخك ، عن أشياء مقدسة سوف يكون لها الأثر الأكبر في توجيه أعمالك في حياة ، فقد أحببت أن تكون على استعداد للاستماع إليها ، وفهمها وأنت طاهر البدن والروح ..

قال نجيب : إني على كامل الاستعداد يا أبي .. فحدثني ..

قال الأب : هل فكرت يا بني قبل اليـــوم في الحياة ؟ في هذا العالم الفسيح ؟ في تناسقه وجماله ؟ في استقراره ونظامه ؟

هل فكرت في الشمس والقمر ؟ في الليل والنهار ؟ في الكواكب والنجوم ، في الظلمة والنور ؟ ..

هل فكرت في البر والبحر ؟ في التراب والماء ؟ في الكواكب والنجوم ، في الظلمة والنور ؟ ..

هل فكرت في هذه المخلوقات المختلفات الأشكال والألوان ؟ في الرجل والأسد؟ في النحلة والبعوضة ؟ في أنواع النبات في مواسم الأزهار والأثمار ؟ في فواكه الصيف وفواكه الشتاء ؟

هل فكرت في هذه المواد الكثيرة ، التي يجدها الإنسان مبثوثة[1] ، على الأرض ، فيصنع بها الإنسان أشياء كثيرة ، نافعة وجميلة .

قال نجيب : لقد فكرت في ذلك كثيراً يا أبي ولطالما وقفت في الشرفة أتأمل مغرب الشمس أو مشرقها ، ولطالما انطلقت بين الرياض أشم عبير الأزهار ، واستنشق النسيم العليل في أصائل[2] الربيع ، وأماسي [3]الصيف ، وسرحت بخيالي في عالم النجوم والأقمار أسائل نفسي عنها ..

---

(١) مبثوثة : منتشرة ، ومنه قوله تعالى في سورة الغاشية : ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ أي مفروشة .

(٢) أصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت بين العصر والمغرب أو العشيُّ .

(٣) أماسي : جمع أمسية .

إن الشمس تطلع كل يوم لا تتأخر ، وان القمر يجري في نظامه الشهري لا يختلف ، وأن الفصول تأتي في مواعيدها ، بحرها أو بردها أو اعتدالها لا يتأخر فصل إلى فصل ولا يستبدل طقس بطقس .

قال الأب : هل فكرت يا بني في الذي أوجد هذا النظام العجيب ، ومهد هذه الحياة الحافلة بالحركة ، وملا هذا العالم الواسع الأرجاء بالمخلوقــات المختلفات ، وضمن فيها الحياة لأقواها وأضعفها ، فاستطاعت النملة الضعيفة والذبابة الواهنة ، أن تكفل لنفسها الحياة ، كما يعيش الأسد والفيل والجمل ، واستطاعت النبتة الصغيرة أن تحيا بجانب الدوحة الكبيرة الباسقة .

قال نجيب : لقد عرفت ذلك يا أبي فكثيراً ما سمعتك تقول أن الله هو الذي خلق الكون وما فيه من حركة وسكون .

قال الأب : لقد كنت تأخذ ذلك عني وأنت طفل ، أما الآن وقد أصبحت رجلاً مكلفاً ، فانه يجب أن تبني عقيدتك على تفكيرك ، يجب أن يكون إيمانك مبنياً على يقين ، وأن يكون هذا اليقين مبنياً على اقتناع عقلي ، وما الأسئلة التي وجهتها إليك ، والمظاهر الطبيعية التي عرضتها عليك ، إلا مفاتيح للإيمان بالخالق الأعظم ..

قال نجيب : وأي عقل يا أبي يرى هذه الحقائق ولا يؤمن بأن لها خالقا أعظم ؟ إنني ما رأيت سيارة جاثمة[1] في طريق إلا علمت أن صانعا صنعها ، وما رأيت طائرة سابحة في الفضاء إلا وعلمت أن فيها قائداً يوجه سيرها ، ويضبط طيرانها ، فكيف بهذا العالم المشحون ؟ ..

قال الأب : لقد وصلت إلى النقطة الثانية من حياتك الجديدة .

قال نجيب : وكيف ذلك يا أبي ؟

قال الأب : لقد صرت منذ دقائق رجلاً ، وها أنت الآن تصير مؤمنا .

---

(١) جاثمة : متلبدة بالأرض .

قالت الأم التي كانت تسمع حوارهما في صمت : وبدلاً من أن تكون هذه الليلة هي عيد ميلادك رجلاً فقط صارت عيد ميلادك مؤمنا أيضاً ، فهي لك عيدان لا عيد واحد ، ولذلك فأنا أرجوك يا ولدي أن تبدأ منذ الآن تاريخ حياتك ، وأن تكتب مذكراتك فتبدأها بتسجيل دخولك في مرحلة الرجولة ثم ما بعد ذلك من أعمال وأقوال وتستمر على ذلك طوال حياتك فتسجل كل ليلة ما قمت به من أعمال سواء كانت لك أو عليك .

قال الولد وهو يرنو إلى أمه حب وإعجاب : حسنا يا أماه إنني سوف اشتري غدا مذكرة ثم أسجل منها جميع أعمالي اليومية .

قالت الأم : لقد فكرت في ذلك يا بني ، ولذلك فقد أحضرت لك مذكرة هي هديتي إليك في هذه المناسبة السعيدة ، ثم ناولته مذكرة جميلة كانت قد احتفظت بها طيلة السهرة .

فتلقاها منها نجيب في احترام ثم قام وطبع قبلة حارة على جبين أمه عبر بها عما في نفسه من حب وإعزاز لها .

وقبل أن يجلس قال له أبوه : يكفي الليلة هذا القدر من السمر فإن وراءك أعمالاً مدرسية يجب أن تنجزها قبل النوم وفي الليلة القادمة سنستأنف سمرنا إن شاء الله .

وألقى الولد المؤدب تحية المساء على أبوبه ثم انصرف .

الليلة الثانية

- معرفة توحيد الله تعالى
- ما يجب في حقه وما يجوز وما يستحيل

الليلة الثانية

مال الوالد بظهره إلى مسند الكرسي المريح ، ثم التفت إلى زوجه الحبيبة وقال : ما رأيك لو أعددت لنا كوبا من الشاي الأحمر الخفيف ، فإن حديثنا سيطول ، وسمرنا الليلة سيمتد .

قالت الزوجة : إني على استعداد لإحضار كل ما تطلبان .. فأنتما لا تزالان في عيدي نجيب ولدي الحبيب .

فضحك الولد وقال : إنها أول عيدين من أعياد ميلادي يمران دون حفلة أو دعوة أصدقاء ، وقد كنت قررت أن أزيد في حفلة هذه السنة إطفاء الشموع كما رأيت ذلك عند بعض الأصدقاء فإذا بالحفلة تلغى من أساسها .

فقال الأب وهو يبدي نصف ابتسامة : لماذا تنسيان انك في الليلة الأولى من ميلادك رجلا وميلادك مؤمنا ، والليلة الأولى للميلاد تمر دائما دون حفلة أو هدية أما إطفاء الشموع فهي عادة غربية بعيدة عن الأسر المسلمة ولا يستعملها إلا أولئك المفتونون الذين يعجبون بكل ما يأتي من الغرب فيقلدونهم حتى في أتفه الأمور فقامت الأم وهي ترنو[1] إلى زوجها ، وتحدث ولدها قائلة : إن أباك يا ولدي لا يريد أن يغلب في نقاش ، وبعد دقائق أقبلت وفي يدها إبريق من الشاي أفرغت منه كوبا لكل واحد منهم فارتشف منه في تلذذ واستماع .

قال نجيب : لقد قلت لي يا أبي حديثنا البارحة إنني أصبحت مؤمنا ، فهل كنت غير ذلك من قبل ؟

قال الأب : لقد إيمانك وكان عملك ، إيمان وعمل طفل غير مكلف يثاب على الإحسان ، ولا يؤاخذ على الإساءة ، أما الآن فقد أصبحت رجلا مكلفا ولذلك طلبت

---

(١) ترنو : تديم النظر مع سكون الطرف .

منك أن تعلن عن عقيدتك بملء حريتك وإرادتك ، وان تكون هذه العقيدة مبنية على ما وصلت إليه واقتنعت به ، بعد تفكير واستعمال للعقل ، فلما صرحت بأنك تؤمن بالخالق الأعظم للكون نتيجة لما تراه من آثار الخلق والطبيعة ، وأعلنت انك اخترت الإسلام دينا لك ، علمت أن الله يسر لك الهداية والتوفيق ، و لم يبق لك إلا أشياء يسيرة يجب عليك أن تعرفها وتؤمن بها وتعمل بمقتضاها حتى يتم إسلامك والحمد الله على هذه النعمة .

قال نجيب : إنني في شوق ولهفة إلى معرفة هذه النتائج يا أبي ..

قال الأب : لقد قلت يا بني انك تؤمن إن لهذا الكون خالقا اعظم ، فماذا تعتقد فيه ؟

قال نجيب : إنني لم أفكر في الخالق من قبل يا أبي ..

فتبسم الأب في سرور ثم قال : حسنا ما فعلت يا ولدي ، إن المؤمن لا يتفكر في الخالق ، ولكن يتفكر في المخلوق ، فان التفكير في المخلوق هو الطريق الصحيح إلى معرفة الخالق وصفاته وأفعاله .

قال نجيب : وهو يجهد نفسه ليفهم ما يرمي إليه الوالد المحب المؤمن .. ماذا تعني بذلك يا أبي ؟

قال الوالد : أن الخالق أعظم من أن يدركه عقل الإنسان أو تصل إليه حواسه ولذلك فيجب عليه أن يتجه بتفكيره إلى المخلوق ، لأن المخلوقات هي الأثر الدال على الخالق .

قال نجيب وهو لا يزال يجهد فكره ، فقد صعب عليه فهم حديث أبيه : إنني لم أتوصل إلى فهم الحقائق التي تشرحها لي يا أبي ، فهل تضرب لي أمثلة ليتضح المعنى المقصود ؟ ..

قال الأب : أن المخلوق محدود .

قال نجيب : ماذا تعني بكلمة محدود يا أبي ؟

قال الأب : إن المخلوق محدود بالعدم يا ولدي ، فهو لم يكن موجودا قبل أن يخلق ، وهو سوف يرجع إلى العدم أي الفناء في يوم ما ..

قال نجيب : نعم هذا صحيح فيما يظهـــر ولكني أريد له مزيد بيان وإيضاح .

قال الأب : إن مدينتنا [1]هذه قديمة فيما ترى ؟

قال نجيب : نعم فلقد قال لنا مدرس التاريخ إنها تكونت قبل ألفي سنة .

قال الأب : وهل تعتقد أن هناك مدنا أقدم منها ؟

قال الولد : هذا أمر طبيعي .

قال الأب : وتعتقد أن الأرض هي أقدم من جميع المدن التي بنيت عليها ؟

قال الولد : هذا أمر لا يحتاج إلى بحث ولا يحتمل الشك .

قال الأب : هل تعتقد أن الأرض سبقت الشمس إلى الوجود ؟

قال نجيب : بل قرأت في بعض الكتب أن الأرض هي التي انفصلت عن الشمس فتكون الشمس أقدم من الأرض .

قال الأب : وهل تعتقد أن الأرض سبقت الشمس إلى الوجود ؟

قال نجيب : بل قرأت في بعض الكتب أن الأرض هي التي انفصلت عن الشمس فتكون الشمس أقدم من الأرض .

قال الأب : وهل تعتقد أن الشمس مسبوقة بمخلوقات أخرى ؟

قال نجيب : بعد تفكير : هذا محتمل .

قال الأب : فأنت ترى أن جميع هـــذه المخلوقات وان تفاوتت في القدم فان لها بداية .

قال نجيب : هذا صحيح .

---

(١) أي مدينة " نالوت " الليبية ، وهي مدينة تقع شمال ليبيا .

قال الأب : وكذلك جميع المخلوقات التي لم نتحدث عنها مهما كانت متغلغلة في القدم فان لها بداية .

قال نجيب : ما دامت موصوفة بأنها مخلوقة فلا بد أن تكون لها بداية وبدايتها اليوم الذي خلقت فيه .

قال الأب : وهل ترى أن هذه الأشياء ، أو بعضها خالدة لا يتناولها الفناء ؟

قال نجيب : بل أعتقد أن جميع هذه الأشياء ستفنى ، إن الشيء الذي أوجد من العدم لا يستعصي على الفناء[1] .

قال الأب : فأنت ترى أن جميع المخلوقات محدودة بالبداية والنهاية .

قال نجيب : هذا ما وصلنا إليه وتحققناه .

قال الأب : وما دامت البداية من صفات المخلوق فإنـــها لا تكون من صفات الخالق.

قال نجيب : تعني انه ما دام قدم المخلوق له بداية وبقاؤه له نهاية فان الخالق قديم بلا بداية باق بلا نهاية .

قال الأب : ذلك ما أعنيه .

قال نجيب : أهذا ما تقصد بقولك إن المخلوق محدود ؟

قال الأب : هذا بعض ما أقصد ، فأنت تدرك الآن إن جميع المخلوقات محدودة بالبداية والنهاية أو بالأولية والآخرية .

قال نجيب : نعم ، وما هي الحدود الأخرى ؟

قال الأب : هل تعرف القمر ؟

نظر نجيب إلى أبيه متفرسا [1]ثم قال : أني أعرفه .

---

(١) لا يستعصي على الفناء : أي لا يصعب إفناؤه .

(١) متفرسا : مثبتا النظر فيه .

قال الأب : وكيف تعرفه ؟

وفكر الولد قليلا ثم قال : كما أراه .

قال الأب : وهذه حدود أخرى تتناول المخلوق .

قال نجيب : وما هي هذه الحدود ؟

قال الأب : إن ما يدخل في نطاق الرؤية أو التصور أو التخيل لابد أن يكون محدوداً بالشكل واللون والحجم والزمان والمكان أو ببعضها .

وفكر نجيب لحظة لعله يجد شيئا يدخل في نطاق رؤيته أو تصوره أو خياله دون أن يخضع لهذه فلم يجد ، فأجاب قائلا :

يظهر أن المخلوقات حتى التي لا ترى لابد أن تكون محدودة بهذه الحدود أو ببعضها .

قال الأب : وما دامت هذه الحدود من صفات المخلوق فإنه يستحيل أن تكون من صفات الخالق .

قال نجيب : يعني أن الخالق قديم بلا بداية باق بلا نهاية متره عن الشكل والحجم واللون لا يحويه زمان لأنه هو الذي خلق الأشكال والألوان والحجوم [٢] والأزمنة والأمكنة .

قال الأب : لقد أحسنت تلخيص موضوع مناقشتنا الماضية يا ولدي ولو زدت فقلت لا يشبه شيئا من خلقه ، ولا يشبهه شيء من خلقه ، لكان تخليصك للموضوع كاملا مستوفيا .

قال نجيب : لقد اعتقدت إن نفي الحدود عنه تعالى كاف في نفي التشبيه

قال الأب : هذا حسن ولكن يجب أن تدرس كتاب الله الكريم ، وتكثر من التأمل فيه وتجعل أساس توحيدك قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [١].

---

(٢) الحجوم : جمع حجم .

(١) سورة الشورى الآية : ١١

قال نجيب : إني حفظت الربع الأخير من كتاب الله وهذه الآية الكريمة من سورة الشورى كثيرا ما كنت أتلوها ولكني لم أفكر في معناها من قبل .

قال الأب : انه لا شيء يملأ قلب الإنسان بالإيمان والاطمئنان مثل تدبر معاني القرآن الكريم .

قال نجيب : سوف أضع في مخطط عملي اليومي حصة لتلاوة القرآن الكريم في تدبر وإمعان ثم التفت إلى أمه التي كانت جالسة تصغي أليهما في انتباه قال : أراك لا تشاركيننا في الحديث يا أماه .

قالت الأم : أنتما يا ولدي تتحدثان عما يدفع الإنسان إلى الإيمان بالخالق الأعظم، وأنا عجوز مؤمنة بربي إيمانا خالصا والعلماء يا بني يضربون المثل بثبات إيمان العجائز فليس هناك شيء يبعث الشك أو الحيرة إلى قلبي .

قال نجيب ضاحكا : إنك ما زلت شابة يا أماه ! .. وسوف أدعو الله تبارك وتعالى في أعقاب [٢]هذه الليلة أن يرزقك بنتا تملأ عليك فراغ وقتك ، وتؤنس وحدتك ، وتقتبس من إيمانك وخلقك وعلمك ، وتكون لوالدي نعم البنت ، ولي نعم الأخت فارتفعت عينا الأم إلى السماء كأنها تبتهل إلى الله أن يستجيب دعوة ولدها البار .. ثم قالت لقد تناولت مناقشتك بعض صفات البارئ ﷻ فهل تظن أن هذا ما يجب أن يعرفه المؤمن ؟

قال نجيب : إنني أظن ذلك ولكنني في انتظار مزيد من المعلومات في مناقشتنا التالية :

قال الأب : لقد استنتجنا من أحاديثنا السابقة أن الخالق الذي هو الله قديم باق ليس كمثله شيء ولكننا لم نذكر أنه موجود .

---

(٢) أعقاب : جمع عقب ، وهو مؤخر القدم ومنه قوله تعالى : ﴿ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ .

قال نجيب : ما دمنا آمنا أنه قديم وباق فلابد أن نؤمن بأنه موجود ثم من يستطيع أن ينكر وجود الله وهو يرى آثار وجوده في خلقه ؟ .

قال الأب : أحسنت يا ولدي ولكن يجب أن تعرف أن وجوده لم يسبق بعدم ولا يلحقه فناء .

قال نجيب : هذا شيء بديهي فلو سبق بالعدم لكان مخلوقا ولو لحقه الفناء لكان شبيها بالمخلوق تعالى عن ذلك علوا كبيراً .

قال الأب : أحسنت يا بني انك تفكر كفيلسوف مسلم .

قال نجيب : ذلك بفضل الله وحسن إرشادك وتوجيهك يا أبي .

قال الأب : وكما يجب أن تعرف إن الله موجود ، يجب أن تعرف أنه واحد لا شريك له في ملكه .

قال نجيب : لو كان له شريك في الملك لظهر أثر الخلاف والتراع على هذا العالم ولو كان معه إله ثان لافتقر أحدهما إلى الثاني والافتقار إلى الغير لا يكون من صفات الخالق أو لاستغنى القادر منهما عن العاجز والعجز يستحيل أن يكون من صفات الله .

قال الأب : قلت من قبل انك تفكر تفكير فيلسوف مسلم فان هذه النظريات [1] هي بعض ما يقوله علماء الإسلام عندما يقيمون الحجة على وحدانية الله تعالى على المشككين .

قالت الأم وهي تبتسم : لماذا تتوجه دائما بحديثك إلى نجيب وتتناساني هل تعتقد حقا إني عجوز مؤمنة دون تفكير أو اقتناع ؟

فأجاب الزوج : إن كلمة العجائز مما يستوي فيه المذكر والمؤنث فهي تطلق على الطاعــنين [1] في السن من الجنسين ، والعلماء حين ضربوا المثل بإيمان العجائز لم يقصدوا

---

(١) النظريات : جمع نظرية وهي القضية التي تحتاج إلى برهان لإثبات صحتها .

(١) طعن في السن : شاخ .

عجائز النساء دون الرجال ، وانما كانوا يقصدون إن العجائز من الجنسين قد انتهى بهم العمر إلى مرحلة الاستقرار العقلي ، وان عقائدهم أصبحت ثابتة راسخة لا يخشى عليها مما تثيره شبهات المشككين أو الشاكين .

فقالت الأم : أرأيت يا ولدي أباك لا يريد أن يغلب في نقاش ، فهو يلتمس حديث جوابا ، كأنه يعلم كل صغيرة وكبيرة في الحياة .

قال نجيب : إنني فخور بكما يا أماه ..

قال الأب : وهو متجه إلى ولده الذي كان على استعداد للسماع والفهم لقد وصفتني أمك بأنني أكاد أعلم كل صغيرة وكبيرة في الحياة ، فهل توافقها على هذا الرأي؟

قال الولد : حقا انك واسع الاطلاع يا أبي ما وجهت إليك سؤالا قط فلم أجد عندك الجواب الشافي ، ولقد استمعت إليك كثيرا في أحاديثك مع الزوار فلم أرك تعيا بجواب ، أو تقف في مناقشة .

قال الأب : لقد أحسنت يا ولدي في تعبيرك حين قلت إنني واسع الإطلاع فإن كلمة الإطلاع مناسبة جدا في وصف معارف الإنسان فهي تعني أن الشخص يعرف الأشياء التي اطلع عليها ، ويجهل الأشياء التي لم يتح له أن يطلع عليها ، ومعنى هذا أن علمه مهما كان واسعا محدود.

قال الولد : هذا طبيعي فيما يظهر فإنه إذا كان الإنسان نفسه محدوداً فلا بد أن تكون جميع صفاته محدودة وبالنسبة إلى العلم فلابد أن يكون هناك أشياء كثيرة يجهلها .

قال الأب : ولماذا ترى أن الإنسان تخفى عليه أشياء كثيرة ؟

ففكر نجيب مليا ثم قال : خلق الإنسان في زمن من الأزمنة ، بحواس محدودة، وهناك أشياء سبقته فهو لا يعرفها ، وهناك أشياء كثيرة ستحدث بعده فهو أيضا لا يعرفها، أما الأشياء التي كانت في زمانه فإنه يعرف منها ما اتصل بإحدى حواسه .

قـــال الأب : أحسنت يا ولدي فلقد أحببت بعين الصواب ، فإن علم الإنسان مهما كان واسعا يسبقه جهل كثير ، ويعقبه جهل كثير ، ويكتنفه[1] جهل كثير ، ولكن ألا تـــرى انه قد تكون هناك مخلوقات سمعت عنها أو لم تسمع هي أطول أعماراً من الإنسان واكثر علما .

قـــال نجيـــب : هذا جائز ولكنني اعتقد إن الفرق بين علم الإنسان وعلم تلك المخلوقات في الكم فقط فقد يكون علمها أوسع ومعارفها أغزر ، وأعمارها أطول إلا أنها محدودة بالبداية والنهاية والزمان والمكـــان وجهل ما لم يتح لها الإطلاع عليه .

قال الأب : كأنك تريد أن تشـــير إلى الفرق بين علم الخالق وعلم المخلوق .

قال نجيب : يبدو لي يا أبي إن معارف المخلوق لا تستحق أن توصف بأنها علم إلا على المجاز .

قال الأب : توصف معارف الإنسان بالعلم كما توصف الأشياء التي مرت عليها أزمـــنة طويلـــة بأنها قديمة وكما توصف الأشياء المتينة التي تتحمل أعباء السنين وتقاوم الاستهلاك لمدة أطول بأنها باقية .

قال نجيب : وقد تحققنا إن المخلوقات الباقية مهما امتد بها الزمن منتهية إلى الفناء وأن علم المخلوق مهما عظم واتسع محدود بالجهل ف بدئه ونهايته ، مكتنف به من جميع جهاته .

قال الأب : ومعنى هذا أن الله سبحانه وتعالى قديم ليس له أولية ، باق ليس له آخرية عليم بما كان وما يكون وما هو كائن ﴿ ***عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ*** ﴾ [1].

---

(١) يكتنفه جهل : أي يحيط به ويغمره .

(١) سورة سبأ الآية : ٣

وعلى هذا المثال جميع صفات الباري سبحانه وتعالى من القدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر .

قالت الأم : أي أن صفات الباري ﷻ كاملة لا يعتريها نقص ولا تشبه صفات المخلوقين لأنها عين ذاته تعالى ليست زائدة عن الذات ولا قائمة بها فهي موجودة بوجود ذاته تعالى قديمة بقدمها باقية ببقائها كاملة بكمالها .

قال نجيب : أما صفات المخلوقين فهي خارجة عن ذواتهم تقوم بها أو تحل فيها ، فإن المخلوق يكون عاجزا حتى إذا استطاع أن يقوم بعمل وصف بالقدرة عليه ويكون جاهلا فإذا عرف شيئا وصف بالعلم به وهكذا بقية الصفات .

قال الأب : إن تفكيرك سديد يا ولدي وقد انتهيت تقريبا إلى ما يجب عليك معرفته من صفات الله عز وجل ومعنى الوصف له بهذه الصفات إنما هو نفي أضدادها فالله تعالى حي ليس بميت عالم ليس بجاهل قادر ليس بعاجز ، مريد ليس بمستكره ، متكلم ليس بأخرس سميع ليس بأصم بصير ليس بأعمى سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

قالت الأم وكانت تسمع لهما في شغف ولذة : لقد امتد نقاشنا وبدأت السهرة تطول .

فقال الأب مستغربا سلوك زوجته التي قطعت عنه حديثه : أتستكثرين علينا ساعة من زمان نأوي فيها إلى ربنا ونتحدث بنعمته يا أم نجيب ؟

قالت الأم : معاذ الله أن أستكثر حديثا في الإيمان والتوحيد مهما طال ولكنني أردت أن أثير سؤالا جديدا ، فأنا فيما عرفت من مسيرة رسول الله ﷺ ودعوته للناس إلى الإسلام لم أعلم أنه كان يتعرض لمثل هذه المباحث والمناقشات وإنما كان يدعو إلى جملة

التوحيد فإذا استجيب له قال لأصحابه ﷺ : ((**فقهوا أخاكم في الدين أو علموه الفرائض**)) [١].

قال الأب : إن ما تقولين يا أم نجيب صحيح لأن الناس في ذلك الحين لم يكونوا يتعرضون لما يتعرض له الناس اليوم وأنا أعرف أن ولدك نجيب معرض في دراساته المقبلة ومطالعاته الحرة إن تعرض عليه عقائد وفلسفات شتى ، كثير منها تساند ديانات باطلة ، أو تؤيد وثنيات موجودة فأحببت أن يتفتح عقله على التفكير السليم ، ويمتلئ قلبه بالعقيدة الصحيحة ، حتى إذا عرضت له الشبه ووضعت بين يديه العقائد الخاطئة ناقشها بعقل نير متمرن على التفكير السليم .

وقالت الأم : كنت أتوقع أن تروي له قول بعض علماء الإسلام (**كلما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك**) [٢].

وقبل أن يجيب الأب قال نجيب : أن هذا الأثر تعبير رائع يا أماه عن عدم مشابهة الله للخلق وعدم مشابهة الخلق له ﷻ ..

قالت الأم : إن علماء الإسلام يا ولدي وهم يستضيئون بنور الله قد استطاعوا أن يضعوا معالم على طريق الإيمان لا يخطئها السالكون وقد عبر بعضهم عن ذلك بقوله : (

---

(١) رواه البخاري في باب الخصومات ، وابن ماجه في باب الحث على تعليم الفرائض ، والدارمي في باب الفرائض .

(٢) انظر : أ- نور الدين السالمي في " أرجوزة التوحيد " .

ب - أبو نصر فتح بن نوح الملشائي في " النونية " .

وكذا شرح النونية ط ل الشيخ محمد بن سليمان ابن ادريسو " .

ج _ الحاج صالح لعلي في " خلاصة المراقي وفيها يقول :

وكل ما صورته ببالك	فالله جل بخلاف ذلك
فعلم كنه ذاته محال	ممن سواه ولذاك قالوا
العجز عن ادراكه ادراك	والخوض في إدراكه إشراك

الطريق محفورة إلى الركبة فلا يخرج منها إلا بالوثبة)[1]وعندما تقرأ كتب أعلام الإسلام في مختلف عصوره فسوف تجد فيها من الروعة ومن المتعة الروحية والعقلية ما لن تجده فيما يكتــبه غيرهم من الناس وكأنما شعرت الأم إنها أخذت الحديث عن زوجها فالتفتت إليه قائلة : ألست ترى ذلك يا أبا نجيب ؟

قال الأب : إن الأبوين المسلمين لا يختلفان في الرأي لا سيما إذا كان هذا الرأي يتعلق بحقائق أثبتها التاريخ وقام عليها البرهان في كل مكتبة ، لقد صدقت أمك يا نجيب في حديثها عن أعلام الإسلام وفي مكتبتي طائفة من الكتب تستطيع أن تجد فيها ما يفتح لك آفاق المعرفة ، ويوصلك إلى الحق .

قــال نجيب : إنني سوف أخصص في مطلعاتي الحرة حصة للكتب الإسلامية ، فهل تساعدني يا أبي على ذلك .

قالــت الأم : إن توجهيك في هذه السن ولو انك أصبحت رجلا من اللحظات القصيرة التي يخصصها للاستراحة من عناء مجهود متواصل .

ومــنذ الغــد ســوف أضع بين يديك كشفا يحتوي على الكتب الإسلامية التي تناسب سنك وثقافتك ويحسن بك أن تطالعها ، وما لم يكن منها موجودا في مكتبة أبيك أعمل على جلبه من المكتبات .

قال نجيب : شكر الله لك يا أماه وبارك فيك .

قال الأب : يحسن أن ننهي سمرنا هنا فقد طال بنا الحديث .

فقام نجيب بعد أن دعا لأبويه بالصحة والعافية والسلامة ثم ذهب إلى حجرة نومه .

---

(١) قاله الشيخ اسماعيل بن موسى الجيطالي في " قناطر الخيرات "

الليلة الثالثة

- ما يجب أن يعتقد في الله
- قيام الحجة السماعية
- الإيمان بالأنبياء والرسل والكتب المنزلة
- كم دماء وأموال المسلمين والمشركين

الليلة الثالثة

اجتمعـــت الأســـرة الثلاثية بعد صلاة العشاء ووضعت الأم أمامها إبريق الشاي على موقد النار ، وافتتح نجيب الحديث فقال : إنني لا أستطيع مهما حرصت أن أقوم بحقكما علي أيها الوالدان العزيزان .

قال الأب : أن للوالدين حقوقها عظيمة يا ولدي ، فإن الله تبارك وتعالى جعل الإحسان إليهما في الدرجة الثانية بعد طاعته وعبادته فقال : ﴿ *وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا* ﴾ [1] ولكننا سنؤجل الحديث عن هذا الموضوع حتى يكون سمرنا في الحقوق أما الآن فان لنا أحاديث قد تكون أهم بالنسبة إليك .

قال نجيب : تعني معرفة مسائل التوحيد .

قال الأب : ذلك ما أعنيه فانه أول واجب على المكلف .

قال نجيب : هل تذكر لي في إيجاز ما يجب علي في معرفة الله جل وعلا .

قـــال الأب : يعـــرف الله تعالى بثلاثة : واجب وجائز ومستحيل فالواجب أن تؤمن إيمانا خالصا أنه لا إله إلا الله والواحد الأوحد ، لا شريك له في ملكه ، موجود بغير مشـــاهدة ، قديم بلا بداية ، باق بلا نهاية ، حي قيوم ، عالم بما كان وما يكون وما هو كائن قادر مريد سميع بصير متكلم ، صادق في وعده ووعيده عادل في حكمه وقضائه هو الأول والآخـــر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وان تجعل ذلك عقيدة راسخة في قلبك وتنطق بها بلسانك .

وأمـــا **المستحيل** : فأن تؤمن أنه يستحيل في حقه تعالى الحدوث والعدم والفناء والتغير والعجز وحلول الأزمنة والأمكنة والشريك والمعاون والزوجة والولد ومشابهة الخلق في ذات أو صفة أو فعل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

---

(١) سورة الاسراء الآية : ١٧ / ٢٣ .

وأمـــا الجائـــز : في حقـــه تعالى فصفات الفعل كإرسال الرسل وإنزال الكتب والتوسعة والتضييق في الرزق وخلق المخلوقات في أوقاتها المقدرة في علمه تعالى .

قالـــت الأم : يقول أبو زكرياء يحي بن أبي الخير الجناوني ما يأتي[1] : يعرف الله بثلاثة : واجب ، وجائز ، ومستحيل ، فالواجب : الألوهية والربوبية والوحدانية ، والجائز ، الخلق ، والافناء ، والاعادة ، والمستحيل : الشريك والصاحبة والولد " [2].

قال الأب : إن أبا زكرياء الجناوني وضع كتابه للمبتدئين ولذلك فقد سلك فيه مســـلك الإيجاز والاختصار مع وضوح العبارة ودقتها وهو من خير الكتب التي يجب أن يقرأها طلاب المدارس في المرحلة الإعدادية .

قالـــت الأم : لقد تناولنا بالحديث في سمرنا ما يتعلق بمعرفة الله ولكن الإنسان لا يكون بذلك فقط مسلما .

قال نجيب : وماذا بقي يا أماه .

قالت الأم : لقد قلت لوالدك أنك اخترت لك الإسلام دينا .

قال نجيب : ذلك ما أنا مؤمن به يا أماه .

قالت الأم:إذن يجب عليـــك أن تقر بالجملة التي يدعـــو إليها رسول الله ﷺ .

قال نجيب : وما هي هذه الجملة ؟

قالـــت الأم : أن تشـــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن ما جاء به حق من عند الله .

فتبسم نجيب وأعاد كلمة الشهادة .

---

(1) أبو زكريا يحيى بن أبي الخير الجناوني (ق ٥ / ١١) من قرية أجناون .

له : أ – كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه حققه العلامة أبو اسحاق ابراهيم اطفيش .

ب – كتاب عقيدة نفوسة للتوسع انظر : " التعريف بكتاب الوضع ومؤلفه رحمه الله ونبذة من تاريخ نفوسة " في " كتاب الوضع " ص٣ .

(٢) القول ليس لأبي زكرياء لأنه قال : " وقد قيل : يعرف الله ..." انظر كتاب الوضع ص٣١-٣٢ .

قال الأب : إن الإيمان وحده بهذه الجملة لا يفيد .

قال نجيب : فماذا بقي إذن يا أبي .

قال الأب : بعد أن آمنت بالجملة التي يدعو إليها رسول الله ﷺ يجب أن تقر [1] بها وبعد أن تقر بها عرفت وحينئذ تكون مسلما حقا .

قال نجيب وهو يحاول أن يستوعب كلام أبيه : لا زلت لم أفهم كل ما ترمي إليه يا أبي .

قال الأب : إن كلمة الشهادة تشمل على ثلاثة أركان هي الأسس التي انبنى عليها الإسلام .

الأساس الأول : هو شهادة أن لا إله إلا الله وهذا الركن يشتمل على جميع نجيب ما ويوصل إلى معرفة توحيد الله وأغلب اسمارنا السابقة كانت في هذا الركن .

الأساس الثاني : أن محمدا رسول الله ﷺ .

قال نجيب : وهل يجب الإيمان برسالة محمد ﷺ على الفور بعد البلوغ مباشرة كالإيمان بالله .

قال الأب : إن الذي يؤمن بالله ولا يؤمن برسالة محمد لا يعتبر مؤمنا فالإيمان بالرسول ﷺ واجب عند أول البلوغ كالإيمان بالله .

قالت الأم : غير أن هنالك فرقا بين وجوب الإيمان بالله ووجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ .

وانتبه الأبوان من الشرود [1] الذي كانا فيه فقال الأب : هذه الجملة هي الفارق بين الإسلام والشرك فمن أقر بها فقد عصم [2] دمه وماله وأهله ، ومن أنكرها حل قتاله وغنيمة أمواله وسبي [3] نسائه وأطفاله .

---

(١) تقر : تظعن وتعترف .

(١) الشرود : النفور أو الخروج بالذهن .

(٢) عصم : منع وحفظ .

قال نجيب : هل يكتسب بالإنسان هذه الحصانة ، بمجرد النطق بالشهادة مهما ارتكب من أعمال ؟

قـــال الأب : إن الإنسان إذا أقر بكلمة التوحيد حرم سفك [٤]دمه وأخذ ماله وســبي نســائه وأطفاله بما معه من التوحيد ، أما العيال والأطفال فلا يحل سبيهما بعد الشهادة شيء أبداً ، وأما المال فإنه لا يجوز أخذه أبداً ، إلا إذا كان سلاحا يعتدي به على المســلمين ويقطع عليهم به الطرقات فإنه حينئذ يجوز أخذه واتلافه لإيقاف البغي وقطع المضرة والعدوان عن الناس .

وأمـــا سفك الدم فقد يحل لأسباب بينها الشرع الكريم وقد أشار رسول اله ﷺ إلى بعضـــها بقوـــله : ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد حقنوا مني دمائهم وأوالهم إلا بحقها قيل ما حقها يا رسول الله ؟ قال : كفر بعد إيمان وزنى بعد إحصان وقتل النفس التي حرم الله**)) [١].

قالـــت الأم : وعلى المسلم أن يعلم أن سفك دماء المسلمين حرام بما معهم من التوحيد ولو كانوا مبتدعين أو مخطئين بالتأويل .

قال نجيب : إذن وعليه أن يعرف أن دماء المشركين حلال لكفرهم بالله وصدهم عن سبيله .

قال الأب : نعم يجب عليه أن يعرف ذلك ، ولكن ليس معنى هذا ان يقوم الفرد المســـلم بالفوضى في البلاد وينشر فيها الفساد فيقتل الأفراد ويأخذ أموالهم بدعوى أنهم مشركون .

قال نجيب : أرجو أن توضحي لي هذا الفرق يا أماه .

---

(٣) سبي : أسر ، والغالب تخصيص الأسر بالرجال والسبي بالنساء والأطفال .

(٤) سفك : صب وإهراق .

(١) رواه البخاري في باب الإيمان والأبواب الصلاة والزكاة والاعتصام ، ورواه مسلم في باب الأعمال ، وروي في أغلب المسانيد الأخرى .

قالـــت الأم : الأفضل أم يتولى ذلك أبوك أما أنا فسأقدم لكما كوبا من الشاي الساخن ليبعث فيكما مزيدا من النشاط والحيوية .

قـــال الأب : لقد صدقت أمك في ملاحظتها هذه يا ولدي والفرق الذي تشير إليه أن الحجة على الإيمان بالله تقوم بالعقل ولو لم تقم بالسماع ويكفي أن يتفكر الإنسان في العالم حتى يعرف مخلوق وان له خالقا ولذلك يطلب من المكلف أن يؤمن بالله من أول البلوغ ولو لم تبلغه دعوة الأنبياء عليهم السلام أما الإيمان برسالة محمد فالحجة عليها لا تقـــوم إلا بالسماع فإذا سمع المكلف بها وجب أن يؤمن أما إذا لم تبلغه الدعوة و لم يسمع بمحمـــد ورسالته فهو معذور ، ومثلك يا ولدي من الشباب الناشئ في بلد مسلم وأسرة مســـلمة لابد أن يكون سمع برسالة محمد ﷺ ولذلك فهو مطالب أن يشهد أن لا إله إلا الله وان محمد رسول الله وان ما جاء به حق من عند الله منذ اللحظة الأولى من البلوغ ولا يجوز له أن يؤخر الإيمان بالرسالة عن الإيمان بالله بعد قيام الحجة لان الدعوة قد بلغته .

قال نجيب : صحيح يا أبي أن الدعوة إلى الإسلام قد بلغت كل أطراف الأرض وسمـــع بهـــا جميع الأطفال الذين نشأوا في بلدان إسلامية وبذلك تكون الحجة قد قامت عليهم بالسماع فكيف يكون الإيمان بمحمد ﷺ ؟

قال الأب : إن الإيمان بمحمد يكون الركن الثاني من كلمة التوحيد كما سبق في أول هذا السمر .

قـــال نجيب : إن أقل ما يجب أن يعرفه المسلم عن رسول الله ﷺ انه محمد ابن عـــبد المطلـــب الهـــاشمي القرشي العربي ، اختاره الله رسولاً إلى الكافة وختم به الأنبياء والمرســـلين وأنـــزل علـــيه القرآن الكريم بطريقة الوحي وجعل الدين الذي جاء به وهو الإسلام آخر الأديان .

قالت الأم : ولتمام معرفة نسب رسول الله ﷺ يجب أن يعرف المسلم أمه آمنة بنت وهب ومرضعته حليمة السعدية .

قال نجيب : لقد حفظت نسب رسول الله ﷺ وبعضاً من سيرته في المدرسة وعلمت انه تزوج خديجة فأنجبت له القاسم وعبد الله من الذكور ورقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة ، أما إبراهيم فأمه مارية القطبية ، وقد توفي أولاده كلهم قبله ﷺ ماعدا فاطمة الزهراء فإنها عاشت بعده ستة شهور فقط ، ونزل عليه الوحي في غار حراء وبعث بمكة وهاجر إلى المدينة وتوفي بها ودفن في حجرة زوجه أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق ﷺ .

قال الأب : إنني اعرف إن المنهج الدراسي يشتمل على السيرة النبوية .

قال نجيب : وهل بقي شيء لا يتم الإيمان إلا به فيما يتعلق برسول الله ﷺ ؟

قال الأب : بقي الإيمان والإقرار بأن رسول الله ﷺ بلغ ما أمر به ونصح لأمته وعبد الله حتى أتاه اليقين .

قالت الأم : إن المسلم يجب أن يعرف رسول الله بثلاثة .

قال نجيب : وما هي يا أماه ؟

قالت الأم : واجب وجائز ومستحيل ، فالواجب في حق الرسول : الصدق والأمانة والتبليغ ، والجائز : النوم والغلط والنسيان ،والمستحيل : الكذب والغش والخيانة.

قال نجيب : وهل هذا خاص بسيدنا محمد ﷺ ؟ .

قالت الأم : بل هذا ما يعرف به جميع الرسل عليهم السلام فيجب في حقهم الوصف بمكارم الأخلاق ويستحيل في حقهم رذائل الأخلاق ويجوز في حقهم ما هو من طبع البشر كالأكل واتخاذ الأزواج والذرية والمشي في الأسواق وما إلى ذلك .

قال الأب : أيتها الزوجة الفيلسوفة لقد وضعت أمامنا إبريق الشاي على الموقد من أول الجلسة ثم تشاغلت عنا بالمناقشة والحوار وإني أخشى أن تكون النار قد انطفأت وأن يكون الشاي قد برد .

قالت الأم : إنني لم أتشاغل عنكم ولا عن الشاي كما ظننت ولكن يظهر انك خشيت أن نستمر نحن في النقاش فيستولي عليك السأم ثم النعاس .

قـــال الأب : سامك الله أيتها الزوجة الصالحة أن المرأة لا يمكن أن تحسن الظن أبداً .

قال نجيب : الحق إن متعة النقاش أنستني الشاي .

وأخذت الأم الإبريق فملأت ثلاثة أكواب أعطت منها لزوجها وولدها وأخذت لنفسها ، وارتشف الزوج الرشفة الأولى ثم اتجه إلى زوجه وقال لها : سلمت يداك إن ما تقولينه وما تصنعينه جميعا ممتع وشيق .

قالت الزوجة : صدَّق الله قولك وحقَّق ظنك وأقدرني على إرضائك ، ثم جمعت آلة الشاي وخرجت بها .

وانتظر نجيب حتى عادت أمه فقال : لقد بعث فيَّ الشاي نشاطا جديدا واستعداد للـــتلقي والفهم ولكن أحد الأبوين لم يرد عليه ، ونظر إليها الواحد بعد الآخر فإذا بهما يسبحان وراء خيال بعيد ، واحترام صمتهما لدقائق ولكنه لم يصبر فمال بجسمه الصغير إلى الإمام وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً رسول الله وأشهد أن ما جاء به حق من عند الله .

قال نجيب : إذن ما معنى أن دم المشركين حلال ما دام المسلم لا يجوز له قتل أي مشرك أمكنه القضاء عليه .

قـــال الأب : أن الدولـــة المسلمة[١] مأمورة بالدعوة إلى الإسلام وصيانة هذه الدعـــوة وإقامة نظام الإسلام في الحكم وسيادته على الأرض فإذا قام المشركون بمعارضة

---

(١) يجب على المسلم أن يعتقد أن الإسلام دين ودولة ، وأن ما يدعوه أعداء الإسلام " لائكية " أو " لا دينية " يعني إنشاء حكم يبعد الدين ويطرحه أرضا ، وقد أوفق العلماء المحققون من أصحاب هذا الاعتقاد وقالوا انهم كفار ، ومن مات منهم على ذلك دخل النار وخلد فيها .

الدعـــوة والصد عن سبيل الله والطعن في النظام الإسلامي وجب على الدولة المسلمة أن تحاربهم وان تقتل من اعترض طريقها منهم وجائز لها أن تغنم أمواله وتسبي أهله وأطفاله .

قالـــت الأم : إن الأحكـــام التي تتعلق بالدماء لا يقوم بها الأفراد وإنما تقوم بها الدولة المسلمة المحافظة على دين الله .

قال نجيب : وما الفرق بين أن تقتل الدولة أو يقتل الفرد ؟

قال الأب : الفرق كبير جدا إن الأعمال التي تقوم بها الدولة لحماية الدعوة هي إقـــرار للنظام وتثبيت لدعائمه أما قتل فرد لفرد بأي طريقة فهي عدوان وإشاعة للفوضى وجريمة يستحق الفرد العقاب عليها .

قالت الأم : والإسلام لم يجعل بيد الفرد سلطة العقوبة وإنما أوجب عليه أن يكون داعية خير وأمن وسلام .

قـــال الأب : إن الإســـلام دين يكفل الحياة الحرة الكريمة لجميع الناس ما داموا محافظين على الأمن والنظام فإذا وقع عدوان على النظام الذي وضعه الإسلام من فرد أو جماعة فإن الإسلام يقر عقوبة الجاني أو الجناة ولكنه لم يترك ذلك إلى الفرد العادي ليرعاه وإنما أناط حماية الدعوة وحفظ الأمن ومحاربة العدو إلى الدولة المسلمة أو الجماعة المسلمة دون استهتار بالحقوق البشرية التي أعطاها الخالق لأفراد الإنسان وجماعاته .

قـــال نجيـــب : يظهـــر من هذا إن الإسلام حريص على دماء الكفار مثلما هو حريص على دماء المسلمين .

قال الأب : إن الله حين خلق الإنســـان كفرة وظالمون ولو شاء لما خلقهم ، أو لأهلكهم ولكنه لحكمة الابتلاء تركهم و لم يجعل من واجب المسلمين ولا من الطاعة قتل الكفـــار والمشركين اللهم إلا في حالة واحدة وذلك حين يعترضون دعوة الإيمان أن تنشر في الأرض أو يعوقـــون المؤمنين عن القيام برسالتهم المقدسة ، أما اعتداء الفرد السلم على الفـــرد المشـــرك دون سبب فهو يخالف حكمة الله من خلق الناس واستفادتهم بعض من بعض.

قال نجيب : إن الموضوع لا يزال غير واضح في ذهني .

قال الأب : دع الحديث عن هذا الموضوع إلى سمر مقبل حين نتكلم عن أحكام الملـــل الموجودة على الأرض وحكم الله فيها ، أما الآن فإني أحس بإرهاق وتعب احتاج معهما إلى قليل من الراحة .

قال نجيب : إني اعتذر إذ لم ألمح ذلك عليك وأتركك تستريح ثم ألقى تحية المساء على أبويه وغادر حجرة السمر إلى حجرة النوم .

الليلة الرابعة

رسالة محمد ﷺ .

الإيمان بالأنبياء والرسل والكتب والملائكة : وبالموت والبعث والحساب والثواب والعقاب

الوحي .

الليلة الرابعة

كـــان نجيـــب آخر من دخل إلى حجرة الاجتماع ، فوجد أبويه يتحدثان عن الحالة المادية للأســرة ، وعن دخل الأب ، ونفقة البيت فسلم وجلس ، وكان يود أن يعرف شيئا عن أحوالهما المالية ، فإنه لم يسمع منهما شكاة طوال عمره القصير و لم ير منها إلا ما ينبئ عن الرضا والقناعة ، و لم يجر على لسانيهما إلا الحمد لله على النعمة ، فلما اطمأن به المجلس قال : يبدو إن سمرنا الليلة سيتناول موضوعا جديدا هو الجانب المادي من حياة الأسرة ، فالتفتت إليه الأم قائلة : لماذا تتعجل الحديث عن المادة يا بني ؟ نحن لم نستوعب الحديث عن الروح ، أعني إننا لم نستوعب النقاش عما يتعلق بالعقيدة والدين ، فلقد من الله عليك يا ولدي بنعمة الحياة ، ورزقك العقل السليم في الجسم السليم ، حتى بلغت سن الرشـــد ، ودخلت مرحلة الرجولة ، وان أوكد ما تهتم له الآن ، وتشغل به نفسك ، إنما هـــو شكر الله على نعمته عليك ، وشكر الله على نعمته لا يتأتى إلا بالإيمان به ، ومعرفة طرق عبادته ، والعمل بما يرضيه ، ولقد حدثك أبوك في الأسمار السابقة عن ركيزتين من ركائز الإيمان ، ولا يزال السمر لم يتناول الركيزة الثالثة .

قال نجيب : تعنين يا أماه الإيمان برسالة محمد ﷺ ؟ .

قالــت الأم : نعم أعني الإيمان برسالة محمد ﷺ وهي الجزء الثالث ، أو الركن الثالـــث ، أو الركـــيزة الثالثة ، التي لا يتم الإيمان إلا بها ، فإن الإنسان الذي يؤمن بالله ويصدق بمحمد ولكنه يكذب بما جاء به محمد هو مشرك أيضا ، فالإيمان بالله والتصديق برسالته وإنها حق من الله هي الركائز الثلاث التي لا يقوم الإيمان إلا عليها ، ومن أخل[١] بواحدة منها بقي على الشرك .

قال نجيب : فعلى ماذا تشتمل رسالة محمد ﷺ ؟

---

(١) أخلَّ : ترك أوقع بها خللا .

قـــال الأب : بالإضـــافة إلى الإيمان بالله ومعرفة توحيده وإلى معرفة محمد ﷺ والإيمـــان بأنه نبي الله ورسوله وانه خاتم النبيين والمرسلين فإنه يجب الإيمان بحقائق أخرى تشتمل عليها رسالة محمد ﷺ كما تشتمل على الحقائق السابقة .

قال نجيب : ما هي هذه الحقائق يا أبي ؟

قال الأب : أن تؤمن بأن الموت حق .

قال نجيب : وهل يوجد من يكذب بالموت ؟ إنها الحقيقة الظاهرة التي نشاهدها كل يوم ، وهذه الحقيقة يجب أن يؤمن بها الناس ولو لم يدع إليها الأنبياء عليهم السلام .

قال الأب : إن دين الله يا بني لم يطلب من الناس إلا الإيمان بالحقائق ؟

قال نجيب : في إمكاني أن أستنتج أن كنت لا أجزم بصحة استنتاجاتي .

قال الأب : هات ما وصلت إليه من استنتاج .

قال نجيب بعد تفكير : إن الناس ينتهون إلى الموت طالت أعمارهم أو قصرت ، دون أن ينالوا ما قدموه من خير أو شر .

قال الأب : وماذا أيضا ؟

قـــال نجيب : أعتقد أن الناس لم يخلقوا سدى فكل عمل لابد أن يكون له جزاء يناسبه .

قال الأب : حسنا وماذا تبني على ذلك ؟

قـــال نجيـــب : لقد لاحظت أن الله عز وجل لا يجازي الناس على أعمالهم كل الجزاء في الحياة الدنيا .

قال الأب : وكيف لاحظت هذا ؟

قال نجيب : رأيت كثيرا من المشركين والأشرار والظلمة ، يعيشون في هذه الدنيا عيشة راضية لا يظهر فيها انتقام الله منهم .

قال الأب : هذا صحيح ثم ماذا ؟

قال نجيب : ورأيت كثيرا من الأخبار والصالحين يبتلون بأنواع من البلاء ولا يظهر جزاء الله لهم على أعمالهم الخيرة .

قال الأب : وماذا تستنتج من هذه المقدمات الكثيرة ؟

قال نجيب : استنتج منها أن الحياة دار عمل فقط أما دار الجزاء فتكون بعد الموت وفيها يجازى الناس على قدر أعمالهم من خير أو شر .

قالت الأم : ولكن كيف ينال الناس جزاءهم على أعمالهم وهم قد ماتوا ؟

قال نجيب : يبعثهم الله بعد الموت فيحاسبهم على أعمالهم ويجازيهم عنها والله الذي خلقهم من العدم قادر أن يبعث فيهم الحياة من جديد .

قال الأب : ذلك هو حقيقة ما تدعو إليه الأديان جميعها ، ومما اشتملت عليه الركيزة الثالثة من كلمة الشهادة التي يدعو إليها رسول الله ﷺ أن يعرف المسلم : أن جميع المخلوقات سوف تفنى وان الناس جميعا سوف يموتون ، وبعد أن تنتهي الحياة على الدنيا يبعث الله الناس من جديد فيحاسبهم على أعمالهم في الدنيا ويجازي المؤمنين المحسنين بالخلود في الجنة ويجازي المشركين والكافرين بالخلود في جهنم .

قالت الأم : أنت تقرأ التشهد كل صلاة .

قال نجيب : نعم إني أقرا التشهد في الصلاة الرباعية والثلاثية مرتين واقرأ في الصلاة الثنائية مرة واحدة .

قالت الأم : وتقرأ في آخره الجمل الآتية : أشهد أن الموت حق وان البعث حق وان الحساب حق وان الجنة حق وان النار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور .

قال نجيب : نعم إنني أقرا هذه الجمل في التشهد الأخير من كل صلاة ، فريضة بالحياة الأخرى كما بينها الإسلام .

قالت الأم : ها أنت يا ولدي تشهد عدداً من المرات في اليوم أنك مؤمن بالحياة الأخرى كما بينها الإسلام .

قال نجيب : صحيح ما تقولين يا أماه فإني مؤمن بهذا مقر به وهل يستطيع إنسان يفكر تفكيرا سليما أن ينكر هذا ! على أن الدروس التي تلقيها في المدرسة وإرشاداتكما أنت وأبي في كثير من المناسبات ، وما أسمعه من أحاديثكما الشيقة في مواضيع الإيمان ، كل هذا قد عرفني بكثير مما يأمر به الإسلام ويوجبه من قول وعمل .

قال الأب : وعلى هذا فقد قامت عليك الحجة بالطريقين .

قال نجيب : ماذا تعني بكلمة الطريقين يا أبي ؟

قال الأب : أعني أن الحجة قامت عليك بطريق العقل وبطريق السمع .

قال نجيب : هذا إذا كانت استنتاجاتي عقلية ..

قالت الأم : يحسن بنا أن ننقل المناقشة إلى بقية المواضيع التي يجب الإيمان بها مما تشتمل عليه رسالة محمد ﷺ .

قال الأب : وهو يتبسم : إنني غير مستعد أن أواصل معكما النقاش ؟

وقالت الأم وهي تنظر إلى زوجها في قلق : لعلك مرهق ؟

قال الأب وهو لا يزال يتبسم : ما بي تعب ولست مرهقاً ، ولكنني لم أر الموقد ولا إبريق الشاي كما تعودنا في الأسمار السابقة فضحكت الأسرة وقامت الأم وهي تقول : ما أهون ما تطلبه أيها الزوج المدلل ! ..

بعد دقائق عادت تحمل الموقد والإبريق وثلاثة أكواب فارغة ووضعت الجميع أمامها ثم قالت : بعد دقائق قليلة سيكون الشاي جاهزاً .

قال الأب : في إمكاننا أن نستمر في حديثنا دون أن ننتظر الشاي .

قال نجيب : فما هو الموضوع الذي نبدأ فيه الحديث ؟

قالت الأم : إنك شهدت يا ولدي أن ما جاء به محمد حق .

قال نجيب : نعم يا أمي إني آمنت بذلك وأقررت به .

قالت الأم : بقي عليك أن تعرف كيف وصل هذا الحق إلى محمد ﷺ .

قال نجيب : أود أن تشرحي لي ذلك يا أماه .

أفرغت الأم الشاي وناولت كوبا لزوجها وكوبا لولدها ثم قالت : إن أباك بعد أن تناول كوبا من الشاي وسرت الحرارة في أمعائه يحسن به أن يتولى النقاش معك في هذا الموضوع الهام .

فاتجه نجيب إلى أبيه وقال : إنني على استعداد للسماع والفهم يا أبي قال نجيب : أن أمك غفر الله لها تخلط الجد بالهزل لكن ذلك لا يمنعنا من قبول أوامرها .

قالت الأم : معاذ الله أن أصدر إليك أمراً أيها الزوج الحبيب ، فأنت القوام على هذا البيت ، ولك فيه الأمر ، وعلي السمع والطاعة .

قال الأب : أن اقتراحاتك ورغباتك تنفذ دون مناقشة ، وذلك لما تحمله دائما من حق وصواب .

وأرادت الأم أن تتكلم فسبقها نجيب قائلا : متعني الله بحياتكما ، إنكما لمثل أعلى لما يكون عليه زوجان متحابان ، وأبوان كريمان شريفان ، ثم اتجه إلى أبيه وقال : كيف وصلت الرسالة إلى سيدنا محمد ﷺ يا أبي ؟

قال الأب : أن الله ﷻ أراد أن يكون محمد صلوات الله وسلامه عليه آخر الأنبياء المرسلين ، فأنزل عليه القرآن الكريم ﴿ *تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ* ﴾ [1] ورضي الإسلام دينا للبشر أجمعين .

قال نجيب : وكيف نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ ؟

قال الأب : نزل بطريقة الوحي .

قال نجيب : وكيف يترل الوحي على الرسول ﷺ ؟

---

(١) سورة النحل : ١٦ /٨٩ .

قال الأب : يأتي به الملك فيتمثل حينا في صورة رجل فيكلم الرسول ﷺ فيتلقى عنه ما يقول ، وأحيانا يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس وحين ينفصل عنه يكون الرسول ﷺ قد وعى ما نزل عليه وحفظه .

قال نجيب : ومن هو الملك الذي يأتي بالوحي إلى الرسول ﷺ .

قال الأب : هو جبريل عليه السلام .

قال نجيب : وهل هذه هي الطريقة التي كان يترل الله بها وحيه ويبلغ بها أوامره إلى الأنبياء بواسطة ملائكته المتعددة ، فقد يبعث [*]ملكاً في صورة رجل فيكلم النبي كلاماً ، وقد يرسل صوتا كصلصلة الجرس ، وقد يلقي الوحي في روح النبي بطريقة الإلهام أو بطريقة الرؤيا الصادقة أو بما شاء الله من الوسائل التي يبلغ الله بها وحيه إلى عباده المخلصين [٢].

قال نجيب : هل هناك فرق بين النبي والرسول يا أبي ؟

قال الأب : إن الرسول هو الإنسان الذي اختاره الله لإبلاغ رسالته إلى الناس فأنزل عليه الوحي وأمره بالتبليغ إلى الناس ، أما النبي فهو الإنسان الذي اصطفاه الله وأنزل عليه الوحي و لم يأمره بالتبليغ إلى الناس والمؤمن يا ولدي يجب عليه أن يؤمن بجميع الأنبياء وجميع الرسل وان يؤمن بجميع ما أنزل عليهم من الكتب ويخصص من تلك الكتب القرآن الكريم الذي أنزل على سيدنا محمد ﷺ ويؤمن بكل ما جاء فيه أنه حق من عند الله ومن أنكر شيئا منه ولو حرفا واحداً أو شك فيه فهو مشرك .

قال نجيب : وهل يجب على المسلم أن يعرف جميع الأنبياء يا أبي ؟

(*) خلل في الحوار – والصحيح : قال الدب : " ...قد يبعث (الله) ملكا ..". والله أعلم .

(٢) انظر " باب في ابتداء الوحي " من الجامع الصحيح للربيع بن حبيب ، عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، روت الحديث بالنص ، وأضافت : " ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ويفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عـرقا " . قال الربيع : " فيفصم عنه أي ينجلي (ص٦) .

قال الأب : لا يتم إيمان المسلم حتى يؤمن بمحمد وآدم عليهما السلام ويعرفهما أما بقية الأنبياء والرسل فيجب أن يؤمن بهم إجمالا إلا من قامت به الحجة فيجب أن يعرفه ويؤمن به .

قال نجيب : وهل نستطيع أن نعرف عددهم ؟

قال الأب : لقد وردت بعض الأخبار في عددهم ولكننا لا نجزم بذلك ، ولكن القرآن الكريم ذكر جملة منهم ويجب على المسلم أن يؤمن بجميع أولئك الذين ذكرهم الكتاب العزيز ويحسن بالمسلم أن يحفظ أسمائهم فإنه لا يجعل بمسلم أن يجهل شيئا جاء في كتاب الله ؟

قال نجيب : هل يشترك الأنبياء والرسل في بعض الصفات ؟

قال الأب : يجب أن يؤمن المسلم أن جميع الأنبياء يتصفون بالصدق والأمانة ، وأنه يستحيل في حقهم الكذب والغش والخيانة ، وأنه يجوز في حقهم أن يتصفوا بما هو طبيعة بشرية كالنوم والأكل والشراب والمشي في الأسواق ، واتخاذ الأزواج والأولاد وما إلى ذلك ويختص الرسل منهم بأنهم بلغوا ما أمروا به ، ونصحوا أممهم حتى أتاهم اليقين .

قالت الأم : لقد عرفت في سمر سابق ما يجب أن تعرفه مما يجب ويجوز ويستحيل في حق رسول الله ﷺ .

قال نجيب : نعم يا أماه .

قالت الأم : إن الصفات التي عرفتها لرسول الله ﷺ مما يجب ويجوز ويستحيل في حقه هي نفس الصفات التي يجب أن تعرفها لجميع الأنبياء عليهم السلام .

قال نجيب : وهل بعث الله إلى الناس رسلا من الملائكة بدين أو شريعة ؟

قال نجيب : هذا ما أعنيه يا أبي فقد خطر لي هذا المعنى وأنا أقرأ قوله تعالى : ﴿ *اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ* ﴾ (١) .

---

(١) سورة الحج الآية : ٧٥ .

قال الأب : لا يا ولدي ، فلقد خلق الله الملائكة بطبيعة غير طبيعة البشر ولذلك قـال تعـالى في الكتاب الكريم : ﴿ *وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ* ﴾ [٢].

قال نجيب : إذن فما معنى الآية الكريمة يا أبي ؟

قـال الأب : إن الله يختار من الملائكة من يحمل رسالاته إلى الأنبياء والمرسلين ، ويختار من البشر رجالا يترل عليهم وحيا بواسطة رسله من الملائكة ، ومن هؤلاء الرجال الذين يختارهم الله ويترل عليهم وحيه من يجعله نبياً فقط ومنهم من يجعله إلى أمة واحدة ومنهم من يبعثه رسولاً إلى جميع الناس ومنهم من يبعثه الله رسولا يا أبي ؟

قال الأب : هم الإنس والجن وقد بعث الله سيدنا محمداً إلى الثقلين ، فالإسـلام هو الديـن الذي رضيه الله للإنس والجن وقد قال تعالى في كتابه العزيز ﴿ *الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا* ﴾ [٣] .

قال نجيب : وهل صور الملائكة تشبه صور الناس ؟

قـال الأب : إن الطبيعة التي خلق الله عليها الملائكة غير الطبيعة التي خلق عليها البشر ، فالملائكة عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، لا ينالهم التعـب ، ولا يشق عليهم عمل يكلفون به من الله عز وجل ، وهو أجسـام نورانية [١] محجوبـة عـن رؤيـة الناس ، لا يوصفون بالذكورية ولا بالأنوثية ، ولا بالجنون ولا بالطفولـية ، ولا بمـا يتكون به الجسم البشري من لحم ودم وعظم وإنما أقصى ما نعرفه

---

(٢) سورة الأنعام الآية : ٩ .

(٣) سورة المائدة الآية : ٣ .

(١) نورانية : أي من النور .

عنهم من الناحية الجسمية إن الله وصفهم بأهم أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع [٢]، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها ولكنه ﷺ لم يصف صورة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ [٣].

وينقسم الملائكة إلى قسمين قسم خلق للعبادة ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [٤] وقسم لتنفيذ إرادة الله في الخلق وإبلاغ رسالاته إلى الأنبياء ويجب الإيمان بهم جملة حتى تقوم الحجة ولا يتم إيمان المسلم حتى يعرف منهم جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وانه الملك الذي كان يترل بالوحي إلى رسول الله ﷺ .

قال نجيب : قلت يا أبي الملائكة لا يوصفون بالذكورية ولا بالأنوثية فما معنى ذلك يا أبي .

قال الأب : لا يقال أن الملائكة ذكور ولا يجوز أن يقال إهم إناث ومن زعم اهم إناث فقد أرك بالله قال الله في كتابه الكريم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴾ [١] .

قال نجيب : وكيف نتحدث عنهم يا أبي ؟

قال الأب : أما من حيث اللغة فإن الحديث عنهم يجب أن يكون بصيغة المذكر ولا يجوز الحديث عنهم بصيغة الأنثى ولكن ليس معنى هذا أن نصفهم بأهم ذكور أو إناث فإن هذين الوصفين من طبائع المخلوقات التي تكثر بالتزاوج ولسنا نعرف الطبيعة التي خلق الله بها الملائكة عليهم السلام .

---

(٢) انظر : تفسير قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ سورة فاطر ٣٥ /١. من تفسير سيد قطب في " في ظلال القرآن "

(٣) رواه الترمذي ، وأحمد بن حنبل . وانظر للتوسع : تأويل مشكل الحديث وبيانه للحافظ أبي بكر بن فورك .

(٤) سورة الأنبياء الآية: ٢٠ .

(١) سورة النجم الآية : ٢٧ .

رأي نجيب أن أباه قد استند إلى ظهر الكرسي بعد هذا الحديث الطويل فظن أن أباه أحس بالتعب فالتفت إلى أمه قائلا :

هل لك يا أماه أن تلخصي لنـــا موضوع سمرنا كله بأسلوبك الرائع الرقيق ؟

قالت الأم لبيك يا ولدي فأنا على استعداد لذلك وان كنت أعرف ان أباك أدق تعبيراً وأسلس أسلوباً ، وأعرف بحقائق الإيمان .

قـــال الأب : إني أشكر لك حسن تقديرك ، وسمو عواطفك ، ونبيل أخلاقك أيتها الزوجة الصالحة .

قالـــت الأم : شكر الله لك ، ثم اعتدلت في جلستها وقالت : أما وقد أرجعتما إلي تلخـــيص هذا النقاش ، فإنه يسرني أن أنقل إليكم ما قاله أبو حفص عمرو بن جميع رحمه الله في ترجمته لعقيدة التوحيد التي وجدها باللغة البربرية فترجمها إلى العربية بأسلوبه الـــرائع الجميل قال : ((إن سأل سائل فقال : ما أصل الدين ؟ فقل : الدين هو التوحيد لقوله تعالى : ﴿ *إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ* ﴾ والإسلام لا يتم إلا بقول وعمل .

فأمل القول : فشهادة إن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له ، ولا ند ولا ضد ، ولا قرين ، ولا شبيه ، ولا مثل ، وان محمداً عبده ورسوله ، وان ما جاء به حق من عند ربـــه ، **وأمـــا العمل** : فالإتيان بجميع الفرائض ، فهذه ثلاثة أقاويل من جاء بهن تامة لم يـــنقص مـــنهن شيئا ، كمل توحيده فيما بينه وبين الله تعالى وأما فيما بينه وبين الخلائق فحتى يأتي بعشرة أقاويل .

أما الأول : فالإيمان بجميع الملائكة والأنبياء والرسل وجميع الكتب التي أنزلت على جميعهم والموت والبعث ويوم القيامة والحساب والعقاب والجنة والنار وجميع ما كان ومـــا يكـــون وما هو كائن فالله هو المكون له ، فهذه عشرة أقاويل من جاء بهن تامة لم ينقص منهن شيئا كمل توحيده فيما بينه وبين الله تعالى والخلائق فمن ترك واحدة منهن فقد أشرك بالله تعالى ، والشاك في شركه مشرك والشاك في الشاك مشرك إلى يوم القيامة

، ومـــن جـــاء بهذه الوجوه كلها ، فقد حرم دمه وماله وسبي ذريته ، وذلك علمه من التوحيد [١].

قال نجيب : هل حفظت هذه العقيدة كلها يا أماه .

قالـــت الأم : إن عقيدة التوحيد كانت من أوائل ما يحفظ الأطفال وقد كانت الأمهات يلقن بناتهن هذه العقيدة منذ الصغر .

وقل أن تجد عجوزاً في سن أمي لا تحفظ عقيدة التوحيد ، وقد كانت أمي كثيراً مـــا تأســـف لأنها لم تعثر على النسخة الأصلية التي وضعت بالبربرية ، وتقول لي لو أنها وجدتها لحفظتنا حتى وهي عجوز .

قال نجيب : هل كانت البنت يا أماه تتعلم كما يتعلم الطفل في زمن جدتي ؟

قالـــت الأم : إن البنت يا ولدي كانت تربى تربية إسلامية نظيفة خالصة ، ومن حالت ظروف حياتها دون تعليمها القراءة والكتابة فإن عجائز القرية ولا سيما العزابيات [١] مـــنهن يعلمـــنها أمـــور دينها ويلقنها ما تيسر من كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ ويحفظونهـــا بعض المتون التي وضعها أكابر العلماء في تلخيص الأحكام ويشرحن لها ما يجـــب عليها معرفته من حقوق الأسرة والجيران وغير ذلك وبذلك تكون عارفة بأكثر ما يجب عليها في دينها وحياتها .

قال نجيب : يا أماه إن فتاة الأمس كانت خيراً من فتاة اليوم .

قالـــت الأم : هذا ما أعتقده فإن فتاة اليوم غرتها المظاهر أكثر من الحقائق وهي حينما انطلقت إلى المدرسة لم تجد فيها تلك الروح السامية المؤمنة التي كان يضفيها الإيمان والحياء على المرأة .

قـــال الأب : إن حرمانك من البنات يا أم نجيب يجعلك تنظرين إلى فتاة فستانها فوق ركبتيها وهي تغدو وتروح من المدرسة مع زميلاتها .

---

(١) مقدمة التوحيد : من ص٢١ إلى ص٣٣ .

(١) انظر : طبقات المشايخ بالمغرب لأبي العباس الدرجيني . ج١ص١٦٧ .

ظهر الألم واضحـــا على وجه الأم المحرومة وقالت بصوت يكاد يكون أنيناً ، قد يكون ما تقول صحيحاً يا أبا نجيب ولكن ذلك لا يغير من الواقع شيئاً ، فما أنا إلا أم بين آلاف الأمهات يَجْرُفُهُنَّ [٢]، تيار الحياة ، وتيار الحياة لا يعني دائما أنه يجرف إلى الأهدى أو إلى الأفضل ، لو جرف إلى الأربع والأرفه ، بل الواقع أن الحياة عندما يقودها ناس لا يؤمنون بالله ولا يتقونه حق تقاته فإنها تبتعد بالركب الذي تحمله عن الحق .

قال نجيب :أعتقد يا والدي أنكما ستفتحان موضوعا شيقا بنقاشكما هذا ، فهل لكما أن تؤخراه إلى ليلة أخرى فإن ورائي هذه الليلة واجبات مدرسية لم أنجزها بعد ..

قال الوالدان بصوت واحد : أصبت يا ولدي فإلى ليلة مقبلة .

وقام نجيب فحيا أبويه تحية المساء ثم انفلت إلى حجرته قرير العين[١] .

---

(٢) جرف : من جرف السيل إذا ذهب بكل شيء ، وهنا مجاز .

(١) قرير العين : من قرت العين ، إذا بردت سرورا وجفّ دمعها .

قال رسول كسرى في الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ :

آمنت لما أقمت العدل بينهمُ فنمت نوم قرير العين هانيها

الليلة الخامسة

- وجــــوب معرفة أن الله أمر بطاعته وأوجب الـــثواب علـــيها ، ونهى عن معصيته وأوجب العقاب عليها .
- الولاية والبراءة والوقوف .

الليلة الخامسة

اجتمعت الأسرة للسمر ، وافتتح الأب الحديث فقال :

أرأيت كيف تطورت يا نجيب بعد أن أصبحت رجلا مسلماً .

قال نجيب : وكيف ذلك يا أبي ؟

قال الأب وهو يبتسم ابتسامة مازحة : كنت تنصرف بعد العشاء مباشرة إلى حجرتك ، لتذاكر دروسك أو لتنام ، فأصبحت الآن تسهر معنا وتسمر إلى هون(١) من الليل ، تمام كما يفعل الرجال الكبار .

قال نجيب : إني أحمد الله تعالى على نعمة التكليف والإسلام .

قال الأب : أحسنت يا ولدي فإن المؤمن يحمد الله تعالى دائماً ، على نعمة الظاهرة والباطنة ، لكن كيف حسبت التكليف من نعم الله عليك ؟

قال نجيب : أعتقد إن التكليف منوط بكمال الجسم والعقل عندما أخبرتني يا أبي أنني أصبحت مكلفاً لا يسعني جهل التوحيد ولا غيره من خصال الإيمان علمت إن الله قد أنعم علي بثلاث نعم في آن واحد ، فقد بلغ تركيبي الجسماني الحد الذي وصل به قوة الرجولة وبلغ عقلي درجة النضوج التي يناط بها التكليف ، وهداني ربي إلى الإيمان به واختيار الإسلام دينا ، أفلا أكون عبداً شكورا وأحمد الله تعالى على هذه النعم المتوالية التي ترتيب على التكليف ؟

قالت الأم : صدقت يا ولدي .. إنها بعض النعم التي أنعم الله بها عليك ولكن ترتيبك لها تنقصه الدقة .

قال نجيب : وكيف ذلك يا أماه ؟

قالت الأم : إن التكليف هو الذي يترتب على بلوغ الجسم وكمال العقل ، أما اختيار الدين فينبني على التكليف أو هو الخطوة الثانية بعد التكليف .

---

(١) هون من الليل : إلى أن يسكن ويسهل الليل .

قـال نجيب : إنك دقيقة في كل شيء يا أماه ! ليت بنات اليوم يعرفن بعض ما تعرفين ؟ ..

قال الأب : كم تحب أمك يا نجيب ! .. انك معجب ها كل الإعجاب وكل ما تقوله يكون موضع رضاك .

قـال نجيـب : إني أحـبك يا أبي مثل ما أحب أمي وكنت أعتقد أن الرجال ينقطعون للدراسة ، وتتاح لهم فرص التعلم والاجتماع أكثر مما تتاح للمرأة ، فيحصلون على ثقافة أوسع وعلم أشمل ، ولذلك فأنا لا أعجب من غزارة علمك وسعة اطلاعك يا أبي فـإن هذا ما كنت اعتقده ، أما النساء فقد كنت أحسب إهن لم يدخلن المدارس فلم تتح لهن فرصـة وبذلك يكن ضعيفات الرأي ضيقات الآفاق ، جاهلات بكثير من العلوم ، فـلما رأيـت أمـي تجول في كل ميدان من ميادين الثقافة والعلم ، وكانت مناقشاها تسـتهويني حين أجدها تشاركك في جميع الميادين وكم عجبت حين أخبرتني إها تحفظ عقيدة التوحيد [1]على ظهر قلب ، هذه العقيدة التي لم أقرأها أنا بعد مجرد قراءة .

قالت الأم : هذا تقصير منا نحن لا منك أنت فنحن نعلم إن مثل هذه الكتب غير مقـررة في المدرسـة يجب أن نضعها بين يديك وننصحك بقراءة ما يفيدك ونشير عليك باستظهار ما يجب استظهاره .

قـال الأب : إن كلام أمك حق يا نجيب فإن الأسرة المسلمة لا تنتظر أن يتعلم أبناؤها في المدارس ، إن المدرسة الأولى كانت هي البيت والأب والأم هما المعلمان الأولان اللـذان يشـرفان على تعليم أبنائهما بالطريقة الإسلامية التي تعنى أولاً بالجانب الديني في الطفـل ثم تعتني بالأخلاق وغرس الفضائل وتوسيع آفاق التفكير والإطلاع على الثقافة الإسلامية العامة حتى تتكون الشخصية الدينية والخلقية للطفل في البيت ، أما المدارس فتأتي

---

(١) لأبي حفص عمرو بن جميع ، وقد أورد في تمهيد المقدمة الغاية من نقلها من البربرية إلى العربية فقال " ... فسألني من لا أرد قوله ، ولا أجهل فضله ، أن أنقلها من لسان البربرية إلى لسان العربية ، ليبين لفظها ، ويسهل على القارئ حفظها ..." (المقدمة ص٢٠)

في الدرجـــة الثانـــية فهي تفتح المجال لكي يطلع الطفل على أنواع أخرى من المعارف لم يعـــرفها في البيـــت ويكتســـب مزيداً من المهارات ثم يفتح المجال لمن أراد الاستمرار في المدرسة، والتبحر في العلم ، أو التخصص في فن من فنونه .

قـــال نجيـــب : يظهر إن البيت في القديم كان خيراً منه الآن فهو يقدم مساعدة كبرى للمدرسة .

قـــال الأب:لو قلت لك ذلك لحسبتني شيخا رجعيا يحن إلى الماضي ويستمسك به.

قالـــت الأم : إن الأسرة في القديم كانت ترى أن تكون الجانب الديني في الطفل أهم شيء في الحياة ولذلك كانت تحرص كل الحرص على هذا التكوين غير معتمدة على يجيء به المستقبل عندما يبدأ الطفل في أخذ معلوماته عن الأساتذة والزملاء .

قـــال الأب : هـــذا صحيح فإن الطفل إذا تكون دينياً وخلقياً وأصبحت هذه النواحي أجزاء من شخصية لم يخش عليه من التيارات التي تصادفه في الحياة .

قالت الأم : يظهر أن نظام الأسرة في العصر الحاضر تطور تطوراً بعيداً جداً عن روح الأســـرة المعـــروف في القديم ، فإن التعلق بالجانب المادي من الحياة قد ساق الناس سوقاً بعيداً وسريعاً عن المثل العليا .

قال نجيب : هذا موضوع طريف والمناقشة فيه ممتعة ، فهل تجعله موضوع سمرنا لهذه الليلة ؟

قـــال الأب : بـــل يحسن إن نؤجله إلى بعض الليالي القادمة لأننا لم ننته بعد من أحاديثنا التي افتتحنا بها حياة الرجل الصغير .

قال نجيب : ألا تسمح لنا بإقامة حفلة عيد الميلاد حتى هذه الليلة ؟

قـــال الأب : أنـــت الآن رجل مثلي والرجل لا يستأذن رجلا مثله ليقيم حفلة ميلاده ، ولكنه يقيم الحفلة ، ويدعو إليها الآخرين فإذا وصلتنا بطاقة الدعوة فنحن على استعداد للتلبية .

قالت الأم : ألم أقل لك يا ولدي أن أباك لا يغلب في نقاش ؟

قـــال نجيب : إذن فلنؤجل هذه الحفلة إلى بعض السنين القادمة حين يقف هذا الرجل الصغير على قدميه ، ويملك مالا من كسبه .

قال الأب : إن مال الأب هو مال الولد الصالح والزوجة الصالحة ، فإن مكاسب الأب إنمـــا جعلت لينفق منها على أفراد الأسرة جميعاً فلكل فرد من أفراد الأسرة حق في مال الأب .

قال نجيب : ذلك ما عرفته يا أبي من سلوكك معي طول حياتي ، فانك لم تضن[1] علي بشيء في يوم ما .

قالت الأم ضاحكة: ما عدا مصاريف حفلة عيد ميلاد الماضية، فضحك الجميع.

قال الأب : أرأيت براعة أمك في تصيد النكتة الجارحة .

قال نجيب : أنت تعرف يا أبي إني معجب بكل ما تقوله أمي .. ثم التفت إلى أمه وقال : هل لك يا أماه أن تفتحي لنا موضوع سمر الليلة ؟

قالت الأم : إنكما لم تنتهيا بعد من الحديث في مواضيع التوحيد .

قال نجيب : ألم تلخصي لنا ذلك فيمـــا نقلته عن أبي حفص عمرو بن جميع ؟

قالت الأم : ذلك خلاصة الجملة التي يدعو إليها رسول الله ﷺ فمن اعتقدها في قلـــبه وأقر بها بلسانه فقد دخل في جملة الموحدين ، ثم التفتت إلى زوجها وقالت : أليس كذلك يا أبا نجيب ؟

---

(١) ضنّ : بالشيء إذا بخل به ، يقال : " إنما يضن بالضنين " وهو مثل معناه أنه يجب التمسك بإخاء من يتمسك بإخائك .

فأجـــاب الزوج : انك على حق أم نجيب فإن الإنسان عندما ينطق بالشهادتين ويستجيب إلى دعوة الله يعتبر موحداً ، ويكتسب حصانة الإسلام فيحرم غنم ماله وإراقة دمه وما إلى ذلك من الأحكام ولكن هنالك أشياء لا يزال مطالبا بها .

قال نجيب : أتعني أنه مطالب بالعمل بالفرائض واجتناب المحرمات ؟

قـــال الأب : إن ما تقوله صحيح يا نجيب ولكن المسلم يطالب بكثير من المعرفة قبل ذلك .

قال نجيب : هل تعني معرفة الكيفية التي تؤدى بـــها الفرائض وأعمال الطاعة ؟

قـــال الأب : أعني هذا وأعني أشياء أخرى يجب أن يعرفها الإنسان حتى يكون توحيده وإيمانه كاملاً .

قال نجيب : هل نستطيع أن نستعرض تلك المواضيع واحداً بعد واحد يا أبي ؟

قال الأب : إن ذلك بالإمكان .. فهل ترى ضرورة إلى إعادة ما ذكرناه سابقاً ؟

قال نجيب : لا ضرورة لذلك فقد فهمت ذلك ولا سيما بعدما لخصته أمي .

قال الأب : أنت عارف إن دماء المسلمين محرمة بما معهم من التوحيد وان دماء المشركين يحل سفكها لشركهم بالله إذا عارضوا الدعوة الإسلامية .

قال نجيب : هل معرفة هذا من التوحيد .

قال الأب : نعم يا ولدي فإن الإنسان الذي لا يعرف كرامة المسلم وعزته عند الله وذلة المشرك وهوانه على الله لا يكون وثيق الصلة بربه .

قال نجيب : أي مؤمن يرضى أن لا يكون وثيق الصلة بربه ؟

قالت الأم : إن هذا الموضوع وثيق الصلة بموضوع آخر يجب معرفته .

قال نجيب : أي موضوع يا أماه ؟

قالت الأم : موضوع الطاعة والمعصية .

قال الأب : على المسلم أن يعرف إن الله أمر بطاعته وجعل عليها ثواباً ونهى عن معصيته وجعل عليها عقاباً .

قـــال نجيب : إن ترتب الثواب على الطاعة ، وترتب العقاب على المعصية أمر طبـــيعي حق في حياة الإنسان فان كلا من الأب والمدرس والحاكم يسرون ويكافئون من يطيع أوامرهم وينفذها وكلهم يستاءون من عصيان أوامرهم وعدم امتثالها ويعاقبون على ذلـــك ، وان اخـــتلف أساليب الثواب والعاب ، فكيف لا يثاب من يطيع ملك الملوك وخـــالق المـــوت والحياة ، أما الذي تبلغ به الوقاحة ، وسوء الدخلة [1] إلى أن يجاهر ربه بالكفر أو بالمعصية فهو أولى بأشد أنواع العقاب منه .

قـــال الأب : فأنت ترى من حديثنا السابق إن الله جعل وعلا أمر بطاعته ونهى عـــن معصيته ، فمن امتثل لأمره جازاه الله بالجنة ، ومن عصاه عاقبه بالنار إلا أن العصاة عـــلى قسمين **القسم الأول** : المشركون وهم الذين لم يعترفوا بكلمة الشهادة أو أنكروا منها ما كان قطعياً وأولئك هم الذين أباح الله دماءهم وأموالهم كما سبق أن شرحت لك ويوم القيامة مثواهم النار وبئس المكان .

أمـا القسـم الثـاني من العصاة فهم الذين يعترفون بكلمة الشهادة ولكنهم يخلون بـــالعمل فيعصون الله وهؤلاء قد صان الله دمائهم وأموالهم في الدنيا بما معهم من التوحيد أما يوم القيامة فمأواهم جهنم وبئس المهاد .

قال نجيب : والنتيجة من ذلك أن من أشرك بالله ومن مات عاصيا من الموحدين غير تائـــب جمعهم الله في جهنم جميعاً ﴿ *أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ* ﴾ [1].

قال الأب : إذا رأيت شخصا مؤمناً بالله حريصاً على طاعته ، وقافا عند حدود دينه ، محاسبا لنفسه على أعماله ، فما هي المترلة التي تعطيها له في نفسك .

---

(١) الدخل : العيب والريب ، وأما الدخلة فهي النية والمذهب ويقال : " هو عفيف الدخلة " كما يقال : " هو سيئ الدخلة " .

(١) سورة الزمر الآية : ٣٢ .

قال نجيب : مترلة الحب والاحترام .

قـــال الأب : وإذا وجــدت إنساناً لا يؤمن بالله أو يزعم انه مؤمن بالله ولكنه يتهاون في أمر الله فلا يقف عند الحدود التي حدها دين الله فلا يحرص على أداء واجب ، ولا يتورع عن ارتكاب إثم ، فمـــا هي المترلة التي تعطيها له من نفسك ؟

قال نجيب : الإحتفار والكره فإنه مثل هذا الشخص لا يمكن أن يحب أو يحترم ، وأهون ما يعامل به هو الإهانة والتهاون بشأنه .

قال الأب : انك وصلت بنفسك إلى قاعدة هامة من قواعد التوحيد .

قال نجيب : ما هي يا أبي ؟

قـــال الأب : هـــي الحب في الله والبغض في الله أو ما يعبر عنه علماء الأباضية بقاعدة الولاية والبراءة .

قال نجيب : أود أن تزيدني إيضاحا يا أبي .

قال الأب : إن الناس منذ خلق آدم ينقسمون إلى قسمين كبيرين .

قـــال نجيب : هل تعني أهم ينقسمون إلى أطفال غير مكلفين وبالغين أنيطت هم الواجبات .

قـــال الأب : لـــيس ذلـــك مـــا أعني فإن أحاديثنا هنا مقصورة على المكلفين والمكلفون لا يكونون إلا بالغين عقلاء .

قال نجيب : إذن تقصد أهم ينقسمون إلى ذكور وإناث .

قال الأب : ولست أقصد هذا أيضاً .

قال نجيب : إذن لابد أن يكون التقسيم راجعاً إلى أعمال الناس .

قال الأب : إن التقسيم راجع إلى أعمالهم وأقوالهم وعقائدهم .

قال نجيب : لازلت لم أفهم ما ترمي إليه يا أبي ؟

قـال الأب : الناس منذ خلق الله آدم : قسم آمنوا به واتقوه واتبعوا دينه فرضي الله عنهم وأثابهم على إحسانهم فأولئك أولياء الله وجيب علينا أن نحبهم لله ونستغفر لهم ونطلب لهم الرحمة .

قـال نجيـب : يعني إن الذين آمنوا بالله واتقوه وأطاعوه من جميع الديانات هم أولياء الله وعلينا محبتهم والدعاء لهم .

قال الأب : من جميع الديانات الصحيحة التي أنزلها الله في أزمنتها وأمر باتباعها أمـا الديانات الباطلة التي وضعها البشر أو حـرفوها فإنها لا تسمى ديانات ولا يكون أتـباعها أولـياء الله ومنذ جاء الإسلام فقد بطلت كل الديانات الأخرى واصبح اتباعها كافرين بالله محادين[1] له ﴿ *لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَه* ﴾ [2].

قال نجيب : هذا القسم الأول .

قال الأب : **أما القسم الثاني** : فيشتمل على نوعين من أعداء الله أحد النوعين هـم المعرضـون عن دين الله الذين لم يؤمنوا به أما النوع الثاني فهم أولئك الذين أقروا بكلمة التوحيد ولكن غلبتهم شهواتهم وزين لهم الشيطان سوء أعمالهم فانتهكوا حرمات الله حـتى ماتوا على ذلك و لم يتوبوا إلى الله و لم يقلعوا عما ارتكبوا فيه من معصية ومن هذيـن النوعين يتكون القسم الثاني وهم أعداء الله ويجب علينا أن نبرأ من أعداء الله منذ خلق الله آدم وان نبغضهم ونلعنهم .

قال نجيب : إن من يحب الله لابد أن يحب أولياءه ويكره أعداءه .

قال الأب : هذا ما يعبر عنه في كتب التوحيد بولاية الجمـلة وبراءة الجملة .

قال نجيب : وهل هناك ولاية أخرى .

---

(١) حاده : عاداه وغاضبه ، فهو محاد .

(١) سورة المجادلة الآية : ٢٢ .

قال الأب : هنالك الولاية والبراءة الشخصيتان .

قال نجيب : وما معنى هذا يا أبي ؟

قال الأب : لابد أنك عرفت أسماء كثير من الأنبياء والأولياء وأنت تقرأ القرآن الكريم .

قال نجيب : نعم فإن الله ذكر في الكتاب العزيز كثيراً من أنبيائه وأوليائه .

قال الأب : ولابد أنك عرفت من التاريخ والسير أسماء كثير من أصحاب رسول الله الذين جاهدوا معه ورفعوا كلمة الإسلام .

قال نجيب : هذا صحيح يا أبي .

قال الأب : فإنه يجب عليك أن تحب أولئك الأشخاص الذين ثبت عندك وفاؤهم بدين الله شخصا ، سواء ثبت ذلك عندك بالقرآن الكريم أو بخير النبي ﷺ أو بخير العدول [1] من المسلمين .

قال نجيب : أن هؤلاء جميعا لا أملك إلا أن أحبهم وأدعو الله أن يحشرني معهم .

قال الأب : ولابد أن تكون عرفت أسماء كثير من الكفار والمشركين والمنافقين ، إما من القرآن الكريم ، أو من أحاديث النبي ﷺ ، أو من أخبار العدول من المسلمين .

قال نجيب : نعم فلقد ذكر الله كثيرا من الكفار والمشركين كما أنني عرفت كثيرا منهم من دراستي للسيرة النبوية ولتاريخ الإسلام .

---

(١) العدول : جمع عدل ، وهو لغة العادل والمستقيم .

وفي مصطلح الحديث " الضابط والمعتمد في النقل والسالم من خوارم المروءة "

يقول البيقوني في منظومته :

أولها الصحيح وهو ما اتصل ... إسناده ولم يشذ أو يعل

يرويه عدل ضابط عن مثله ... معتمد في ضبطه ونقله

(مجموع مهمات المتون ص٧٧)

قـــال الأب : فكل من ثبت عندك أنه معرض عن الله كافر به أو جاحد لنعمته فإنه يجب عليك أن تبرأ منه .

قـــال نجيب : ومن ورد علي اسمه ولكني لم أعرف هل هو مؤمن تقي أم فاجر شقي ؟

قال الأب : ذلك يدخل في الحكم الثالث من هذه القاعدة .

قال نجيب : وما هو الحكم الثالث يا أبي ؟

قـــال الأب : الحكم الثالث هو الوقوف فإن الشخص الذي لم يثبت عندك دينه وعمله يجب أن نقف فيه فلا تحبه لله ولا تبغضه لله يعني لا تتولاه ولا تتبرأ منه ولا تدعو له بالرحمة والمغفرة ولا بالعذاب واللعنة .

قال نجيب : وهل هذه القاعدة تجب على الفور ؟

قـــال الأب : أمـــا ولاية الجملة وبراءة الجملة فتجبان على الفور ، وأما ولاية الأشخاص وبراءة الأشخاص فتجبان بقيام الحجة .

قال نجيب : وكيف تقوم الحجة يا أبي ؟

قـــال الأب : عـــندما يثبت عندك عدالة شخص إما بالخبر الصادق أو بشهادة العـــدول وإمـــا بالمعرفة الشخصية فإنه يجب عليك ولا يته ، وعندما تثبت عندك شقاوة شـــخص ، أما بالخير الصادق أو بشهادة العدول ، وأما بالمعرفة فإنه يجب عليك أن تتبرأ منه وأن تبغضه الله .

قـــال نجيـــب : إذن فحكـــم الولاية والبراءة ينطبق حتى على الأشخاص الذين نعاشرهم ويعشون معنا .

قـــال الأب : نعم نعم يا بني فإنه يجب عليك أن تحب، في الله كل من رأيت منه وفاء بدين الله وأن تعاشره وتربط معه علاقات الصداقة والأخوة ويجب عليك أن تبغض كل من رأيت منه إعراضاً عن دين الله وأن تشعره بالكراهية والاحتقار وأن تبتعد عنه ولا

تـــتعامل معه إلا بمقدار الضرورة ، أما أولئك الذين لم تعرفهم معرفة صحيحة و لم يثبت عندك شيء من طريق العدل عنهم فيجب عليك أن تتوقف فيهم يعني أنك لا تسبغ عليهم محبتك ولا تلقي عليهم كراهيتك وبغضك حتى تقوم الحجة لديك بصلاحهم أو فسادهم .

قـــال نجيب : إذن فالوقوف هي الدرجة التي يقف عليها الناس ومنها ينقلون إلى الولاية أو البراءة .

قـــال الأب : هـــذا صـــحيح فإن المجهول يكون في الوقوف حتى يثبت له أحد الحكمـــين فإذا ثبتت له الولاية فلا ينقل منها إلا بقيام الحجة ولا ينقل إلا إلى البراءة ومن كان في البراءة فلا ينقل منها إلا بقيام الحجة ولا ينقل إلا إلى الولاية .

قال نجيب : يعني أن من انتقل من حكم الوقوف لا يعود إليه أبداً فلا يكون إلا في الولاية أو البراءة .

قال الأب : هذا صحيح والانتقال من أحد الحكمين إلى الثاني لا يكون إلا بحجة وبرهان .

قال نجيب : ولماذا هذا الفرق بين المواقف الثلاثة ؟

قـــال الأب : إن الوقوف هو حكم مبني على جهل الشخص ولا ننتقل منه إلا بعلم فإذا عرفنا حالة شخص ما ، حكمنا عليه بمقتضى معرفتنا له وعلمنا بحاله وهذا حكم مبني على شخص مصادفة لا تدري هل هو مسلم قويم أو فاسق لئيم فما هو الحكم الذي تحكمه عليه ؟

قال نجيب : أتردد فلا أحبه الله ولا أبغضه الله .

قال الأب : هذا التردد ه ما يسمى بالوقوف ، فإذا طالت عشرتك له حتى رأيت منه الوفاء بدين الله .

قال نجيب : حينئذ أتولاه وأحبه الله .

قـــال الأب : فأنت انتقلت بالنسبة لهذا الشخص من حكم الوقوف إلى حكم الولاية .

قال نجيب : نعم هذا صحيح .

قال الأب : فهل تنتقل من ولاية هذا الشخص إلى حكم آخر ؟

قال نجيب : لا أدري .

قال الأب : إن حكم الولاية هو ما ثبت عندك بعلم لا يجوز أن تنتقل عنه إلا إذا ثبت لك ضده .

قال نجيب : وكيف ذلك ؟

قال الأب : إذا ثبت بيقين إن هذا الرجل الذي كنت تحبه لله وتتولاه قد انتهك حـــرم الله وارتكب من المعاصي ما يوجب البراءة فإنك تنتقل من الولاية إلى البراءة فتتبرأ مـــنه وتعلـــن بغضك وكراهيتك له من أجل المعصية التي ارتكبها ولو تاب وصلح وثبت عندك صلاحه فإنك تنتقل من حكم البراءة إلى حكم الولاية .

قال الأب : وهكذا لا تجد للوقوف سبيلا .

قال نجيب : يظهر إن الانتقال من الولاية لا يكون إلى البراءة والعكس صحيح .

قـــال الأب : نعـــم لأن الوقوف ينبني على الجهل بحالة الشخص فإذا ثبت أحد الحكمين بعلم ، لم ينتقل منه إلا بعلم ويقين .

وعـــلى هذا فجميع الناس الذين تعرفهم كاملة لا يكون إلا في أحد الحكمين أما الولاية أو البراءة .

قال نجيب : قد فهمت هذه القاعدة يا أبي فهماً كاملاً .

قال الأب : فالحمد الله على نعمته .

قالـــت الأم : يـــبدو إن المناهج المدرسية لا تتعرض لمثل هذه المسائل التي لا يتم التوحيد إلا بمعرفتها .

قال نجيب : لم يحدثنا أحد من المدرسة عن هذا الموضوع أبداً .

قال الأب : إن المناهج المدرسية لا تتسع لكل شيء .

قالـــت الأم : لكـــن هذه المسائل المتعلقة بالتوحيد والتي ينبني عليها التعامل بين الـــناس من أوكد ما يجب أن تعالجه المناهج المدرسية ولكن واضعي المناهج فتنتهم طرق الغرب فاتبعوها وبعدوا عن الإسلام .

قال نجيب : لعل الله يهدي الأمة الإسلامية فتذكر ما لها من أمجاد وتعود إلى دين الله في كل صغيرة وكبيرة .

قال الأب : حسبنا سمراً الليلة فإنني أحس برغبة في الراحة قام نجيب وألقى تحية المساء على أبويه ثم انفلت في خفة إلى حجرته

الليلة السادسة

- تحريم مسايرة الفساق والمنافقين .
- مقارفة المعصية واستحلالها .
- ولاية البيضة وبراءتها .

الليلة السادسة

ذلف[١] الأب بعد صلاة العشاء الآخرة إلى حجرة الاجتماع ولحق به نجيب ، أما الأم فقد أخذت معها الموقد وإبريق الشاي ووضعت أمامها الأكواب على الصينية ثم قالت :

لقد تركتكما البارحة بدون شاي فخفت الليلة أن تقابلاني بعاصفة من الاحتجاج ولذلك قدمت كل شيء بين يدي .

قال الأب : لقد هممت البارحة أن أطلب الشاي ولكنني خفت نكتة من نكتك اللاذعة فسكت وصبرت .

قال نجيب : أما أنا فقد أخذتني روعة المناقشة و لم يخطر لي الشاي على بال ..

قالت الأم : لقد هممت أن أعمل الشاي كعادة ولكنني ذكرت أن السكر قد نفذ من البيت و لم أشأ أن أسبب في قطع النقاش من أجل الشاي فسكت عنه .

قال الأب : فأنت إذن معذورة .

قال نجيب : إن أمي لا تعمل عملاً إلا لسبب معقول .

قال الأب : يخيل إلي أنه لو رفع خلاف بيني بين أمك فسوف تنحاز إلى جانب أمك .

قال نجيب : إن من له أبوان مؤمنان مثل أبوي لا يخاف، أن يقف هذا الموقف فإن الإيمان يعصم كلا منهما من الشقاق والخلاف .

قال الأبوان في صوت واحد : صدق الله ظنك وعصمنا من الزلل .

---

(١) ذلف : مشي مشيا قارب الخطو .

قال نجيب : أظن أننا استوفينا الحديث عن قاعدة الولاية والبراءة وان سمرنا الليلة سيتناول موضوعاً جديداً .

قال الأب : لا تزال هناك نقط أود أن نمضي عنها قبل أن نتناولها بالحديث .

قالت الأم : إن الحياة في هذا العصر أصبحت مرتبطة بين جميع الأجناس والأديان، وأصبح الشخص مضطرا إلى التعامل مع جميع الناس ، فإن ظروف البيع والشراء، والأخذ والعطاء ، والعمل والكسب ، والسفر والإقامة ، تفرض على الإنسان أن يتعامل مع الفاسق والكافر وغيرهم وقد تفرض عليه هذه الأحوال أن يساير أعداء الله .

قال نجيب : هذا صحيح يا أبي فإن الناس من جميع الملل والنحل والطبقات أصبحوا يشتركون في الأعمال وان المؤمن لا يستطيع أن يعيش في عزلة عن العالم حيث لا يجد كافرا أو فاسقاً .

قال الأب : إن ما تحدثت به أمك يا نجيب واقع ، وذلك أن ولكن هذا لا يعني إظهار الرضا عن ضلالهم وعدم الإنكار عليهم في فسقهم ولا يعني محبتهم إن الإنسان قد يتعامل مع عدوه ، وتعامله معه لا يعني رضاه عنه أبداً ، والمؤمن إذا اضطر إلى التعامل مع أعداء الله فأنه يجب أن يحتفظ بحكم البراءة منهم وإظهار السخط على ضلالهم وإعلان الإنكار عليهم مهما استطاع إلى ذلك سبيلا .

قالت الأم : نعم إن التعامل لا يعني الرضا والمحبة فهل ترى أن عدم الرضا والمحبة كاف في البراءة .

قال الأب : إن حكم الولاية والبراءة من أعمال القلوب ويظهر على اللسان إذا كان ظهوره على اللسان لا يؤدي إلى المضرة وهو يتصل اتصالا وثيقاً بقاعدة أخرى من قواعد الإسلام ربما جعلناها موضوع سمر في ليلة مقبلة .

قال نجيب : إن جوابك يا أبي عن السؤال الذي أثارته أمي يحتاج إلى مزيد من الإيضاح والبيان فأنا لم أفهم ما تقصده فهما كاملاً .

قال الأب : إن الحكم بالبراءة على أعداء الله من العصاة والكافرين يتوقف على حال الفرد المؤمن والأمة المسلمة والدولة المسلمة .

قال نجيب : وكيف ذلك يا أبي ؟

قال الأب : في البراءة من الفاسق قد يكون إضمار الكراهية وعدم إظهار الولاء لا المحبة كاف للمؤمن إذا كان لا يستطيع اكثر من ذلك وقد يجب عليه إظهار الكراهة والاحتقار للمعصية ومرتكبيها وقد يجب عليه الأمر بترك المعصية والاستتابة منها وقطع التعامل مع أهلها إذا أصروا عليها هذا بالنسبة للفرد أما بالنسبة للدولة فلها أحكام وواجبات خاصة بها عندما تكون دولة مؤمنة قائمة بدين الله .

قالت الأم : إن تفصيل هذا قد يستغرق منك وقتا طويلا يا أبا نجيب ، ولكن هل لك أن تقول لنا رأيك في المسايرة العلمية التي يقوم بها المسلمون للعصاة والكفار ، وتبيؤن لنا موقف الإسلام من ذلك وحكمه عليه ؟

قال الأب : ماذا تقصدين بالمسايرة العلمية ؟

قالت الأم: أن يرتكب الإنسان المعصية ، أو أن يتخلى عن واجب إرضاء الناس.

قال الأب : هل لك أن توضحي سؤالك هذا يا أم نجيب ؟

قالت الأم : يجتمع عدد من الناس من الذين لا يتقون الله ولا يبالون من ارتكاب المعصية وتضطر ظروف الحياة أحد المسلمين المحافظين أن يكون معهم ، فيشربون خمراً أو يتنالون دخانا أو يأكلون مالاً مغصوباً أو لحم ذبيحة لا تحل أو ما يشبه ذلك فيرتكب معهم ما يرتكبونه إما حياء فنهم أو خوفا أو اتقاء سخريتهم وهزئهم به أو خشية أن يقولوا عنه أنه رجعي وجامد ومتأخر أو ما يشبه ذلك من الأقوال وقد ينتقدون دينه الذي لا يساير العصر ولا يسير مع ركب الحضارة والتقدم في زعمهم .

قال الأب: إن ارتكاب المعصية كفر بنعمة الله مهما كانت الأسباب الداعية إليه، ولا يقدم عليه إلا رجل ضعيف الإيمان بالله والتقية لنتجية النفس أو المال إنما تجوز في

القول ولا تجوز في العمل ، فالمسلم المجير على ارتكاب المعصية لا يجوز له أن يرتكبها ولو عذب ، فإذا كان التعذيب والقتل لا يجوز للمسلم ارتكاب المعصية فكيف يجيزها ما دون ذلك ، اللهم إلا ما أباحه الله وخروجاً عن الإسلام .

قـال نجيب : إن الحكم بالشرك يا ولدي على رجل يقر بالتوحيد أمر صعب ، وأنـا لم أحكم بهذا بعد ، ولكنني قلت إنني أخاف عليه أن يكون بعمله هذا قد ارتكب خصـلة من خصال الشرك ، فقد استهان بحكم الله واستحل حرامه إرضاء للمخلوق ، وطلـباً للزلفى عنده ، ولقد سمى رسول الله ﷺ الرياء بالشرك الأصغر [1]، والرياء إظهار عمل الطاعة طلباً للمترلة عند الناس ، وابتغاء لمحبتهم ، فكيف بارتكاب المعصية وإظهارها مجـاراة للـناس وابتغاء مرضاهم والمترلة عندهم ، إن هذه الحالة من أخس ما يصل إليه الإنسان ، والرجل الذي يصل به الضعف إلى أن يجاري أعداء الله فيرتكب معهم المعصية ويغضب الله ورسوله ابتغاء مرضاة الكافرين والفاسقين بعيد عن الإيمان بعداً شديداً .

قـال نجيب : ولكن ظروف العمل قد تجبر الإنسان على أن يكون في محيط هذا شأنه .

قـال الأب : إن حضور مجلس المعصية والمنكر نفسه معصية اللهم إلا من ألجأته ضرورة لا يمكن الفكاك منها فإذا اضطر المسلم إلى أن يحضر مجلساً يرتكب فيه منكر فعليه أن يـنكر ذلك ويشدد في الإنكار فإذا كان لا يستطيع ذلك فعليه أن يغادر مجلس المنكر ويبـتعد عنه فإن كان ذلك لا يمكنه وكان مجبراً على حضور ذلك المجلس فلا أقل من أن يظهـر التأفف والسخط وعدم الرضا ولا يحل له أبداً أن يشارك في ارتكاب المعصية وأن يظهـر الرضا على ارتكابها ، والمسلم يا ولدي يجب أن يكون حريصاً على إيمانه متيناً في خلقه ثابتاً على مبدئه لا يظهـر خلاف ما يبطن ، ولا يوافق على غير ما يعتقد ولا يعمل عملاً يرضي الناس ويغضب الله .

---

(١) رواه الترمذي في باب النذور ، وابن ماجه في باب الفتن ، ورواه الدرامي .

قالــت الأم : لقد أثرت هذا الموضوع قاصدة حتى يكون نجيب فيه على بينة من أمره ولا يخدعه المنافقون الذين يحسنون القول ويساعدون الشيطان فيزينون للناس ما يحيد بهم عن سبيل الله .

قال الأب : شكر الله سعيك وأثابك عليه .

قالــت الأم : هناك نقطة أخرى في الموضوع أريد أن نتحدث فيها قبل أن ننتقل إلى موضوع جديد .

قال نجيب : ما هي يا أماه فإن أحاديثك شيقة .

قالــت الأم : وهي تنظر إلى زوجها : قد يكون صاحب سلطة أو جاه ممن لا يــتقي الله ولا يرعى حدوده فتجد الناس يتملقونه ويسايرونه على ضلاله ويشاركونه في معاصيه مراضاة له وقد يهدون إليه من أموالهم أو يشترون له أشياء محرمة وقد يستضيفونه وبمــا أنهم يعرفون أنه يستحل ما حرم الله فيقدمون له ما يشتهيه من خمر أو دخان أو غير ذلــك مما حرمه الله ويعتذرون للناس ولأنفسهم عن عملهم هذا بان لهم عنده مصالح ولا يقضيها لهم إلا إذا جاءوه على هذه الطريقة .

قال الأب : إن تقديم الرشوة في نفسه حرام إذا كان من مال حلال فما بالك إذا اجتمعــت فيه الصفتان إنه رشوة وأنه من حرام فإذا زيد له الوجه الثالث وهو تقديمه لغير حــق تضاعفت حرمته ثلاث مرات ولا يقدم على ذلك إنسان وفيه ذرة من الإيمان وبقية من عزّة الإسلام ، إن هذا تدهور كبير عن أخلاق المسلمين وانحدار عن مراتب الإنسانية الكاملة ﴿ *لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَه* ﴾ [1].

قــال نجيــب : إن الله يحــرم عــلى المؤمنين محبة الكفار فكيف تجوز مهاداتهم مراضاتهم.

---

(١) سورة المجادلة الآية : ٢٨ .

قالت الأم : هذا ما أريد أن تعرفه يا بني فلقد كنت أسمع أن ناساً يتقربون إلى العصاة والمجرمين بما يسخط الله ويعتذرون للناس عن أنفسهم بأنهم يقضون بذلك مصالحهم وهذا ضلال ما بعده ضلا !

قال نجيب : لقد وردت في أحاديثنا كلمة الخمر عدة مرات فما معناها يا أبي ؟

قال الأب : إن الخمر كلمة تطلق على كل شراب يؤثر على العقل وسميت هذه الأنواع من الشراب خمراً لأنها تخالط العقل فلا يعرف الخطأ من الصواب وقد حرم الله سبحانه وتعالى جميع أنواع الخمر على المسلمين صيانة لكرامة العقل أن تنحدر إلى أوصاف الجنون .

قال نجيب : إنني أسمع زملائي يتحدثون نقلاً عن زملائهم الكبار فيحسبون بعض الأنواع غير محرمة ويقولون : إنها عصير شعير أو عصير تين أو ماء نخيل في العصير الذي يستخرج من النخيل إلى آخره .

قال الأب : إن جميع أنواع الخمر أصلها عصير فاكهة أو ثمار وإنما حرمت لما اكتسبت من التخمر وسواء في ذلك عصير النخيل أو التين أو الشعير أو العنب أو غيرها من أنواع العصير ، والناس الذين يشربون هذه الأنواع من الشراب المحرم وهم مقرون بأنه حرام ، عصاة فسقه ، أما أولئك الذين يحكمون بأنها حلال فإن حكمهم هذا يؤدي بهم إلى الشرك لأنه استحلال لما حرم الله ووضع لشرع مخالف لشرع الله ﴿ *أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ* ﴾ [١] .

قال نجيب : ما الفرق بين ارتكاب المعصية واستحلالها ؟

قال الأب : إن الشخص الذي يعترف بأحكام الإسلام ويغلبه الشيطان فيرتكب معصية وهو مقر بأنها معصية معترف بحكم الله فيها ، إن هذا الشخص يعتبر فاسقا أو منافقاً أو عاصياً أو كافراً كفر نعمة ولا يعتبر مشركاً ، أما الشخص الذي يغير حكم الله

---

(١) سورة الشورى الآية : ٢١

فيرتكب محرماً وهو يزعم أن ارتكابه لذلك الحرام لا إثم فيه ولا معصية ، أو يترك فريضة من الفرائض وهو يزعم أنها غير فريضة هذا الشخص يحكم عليه بأنه مشرك لأنه منكر لحكم الله مكذب له وإنكار أحكام الله والتكذيب بها ، أو لها شرك بالله .

قال نجيب : الآن قد فهمت الفرق بينهما فهما كاملاً.

قالت الأم : هل هذا ما يقصده العلماء بقولهم : يشرك المستحل ولا يشرك الفاعل .

قال الأب : إن من يستحل شراب الخمر أو قتل النفس أو الزنا مثلا يكون مشركا لأنه مكذب بالله راد لحكمه أما من يرتكب إحدى هذه المعاصي وهو مقر بأن ارتكابها معصية نهى الله عنها ، فيحكم عليه بأنه كافر كفر نعمة فهو يرادف معنى كونه فاسقاً أو منافقاً أو عاصياً أو ما يشبه ذلك من الأحكام .

قالت الأم : إن من يرتكب المعصية وهو بحرمتها لا يزال فيه بقية من الحياء ويرجى منه التوبة والإقلاع والرجوع إلى حكم الله أما من يستحلها فلا يرجى منه ذلك لأنه يرتكب ما يحل له في زعمه ، وينتهك ما حرم الله ديانة .

قال الأب : هذه نظرة صحيحة للموضوع .

قال نجيب : وهل يحكم بشرك المستحل ولو لم يرتكب المعصية كمن يستحل الخمر و لم يشربها أو يستحل الزنا و لم يرتكبه ؟

قال الأب : إن الحكم بالشرك ترتب عليه باستحلاله ما حرم الله لا بارتكابه له .

قالت الأم : وهل ينطبق الحكم على العكس .

قال نجيب : تقصدين يا أماه من يزعم أن إحدى الفرائض غير واجبة ومن يهمل أداءها .

قالت الأم : نعم يا ولدي كمن يزعم أن الزكاة أو الصوم أو الحج غير واجب ومن يهمل القيام بها في وقتها المضيق .

قال الأب : ينطبق الحكم تماما فمن أبطل فريضة فهو مشرك لأنه مكذب الله آت بشرع على هواه ، والتارك له إهمالاً وتهاوناً كافر كفر نعمة ، والخلاصة : إن كل من حرم حلالاً مقطوعاً به أو حلل حراماً مقطوعاً به أو أسقط فريضة واجبة فهو مشرك وكل من ارتكب شيئا من ذلك تهاوناً فقط فهو كافر كفر نعمة .

قالت الأم : أي إن الإنسان الذي يلم بالمعصية أو يتهاون بالطاعة فهو كافر كفر نعمة ولا يحكم عليه بالشرك .

قال الأب : نعم هذا صحيح .

قال نجيب : أعتقد أنني فهمت هذا الموضوع فهماً شاملاً .

قال الأب : لا تزال هناك نقطة كان يجب أن نمر عليها بالمناقشة في أول السهرة ونحن نتحدث عن الولاية والبراءة .

قال نجيب : وما هي يا أبي ؟

لم يسارع الأب إلى الجواب وبقي نجيب ينتظر فقالت الأم : لعل أباك يقصد ولاية البيضة .

قال نجيب : ما معنى البيضة يا أماه !

قالت الأم : بيضة المسلمين أي جماعتهم وتطلق هذه الكلمة عند الحديث عن الولاية والبراءة على الإمام العادل ومن يساعده على أمور المسلمين .

قال نجيب : يعني أن كلمة بيضة المسلمين معناها الدولة الإسلامية .

قالت الأم : تقريباً البلد ويقصد بذلك أكبر القوم فيه وأكبر القوم في الدولة إنما هو الإمام أو من يقوم مقامه ومن يساعده على القيام بأعباء الدولة .

قال نجيب : وهل تجب ولاية الدولة المسلمة ولو لم نعرف حالها ؟

قال الأب : تحب ولاية السلطان ومن تحت رعايته إذا اشتهر بالعدل والوفاء بدين الله والحرص على تنفيذ أحكامه والمراقبة لعماله ، أما إذا اشتهر بالجور وعدم الوفاء بدين الله فتجب البراءة منه وممن يساعده على جوره وظلمه .

قالت الأم : لقد شرح العلامة أبو حفص عمرو بن جميع قاعدة الولاية شرحا جميلاً .

قال نجيب : ماذا قال يا أماه ؟

قالت الأم : قال أبو حفص :

" الناس على ثلاثة أوجه : مسلم ، ومنافق ، ومشرك ؛ والولاية على اربعة أوجه وقيل سبعة :

١- ولاية جملةِ المسلمين من عرفناه ومن لم نعرفه الحي منهم والميت الإنس والجن .

٢- وولاية المعصومين هم الذين ذكرهم الله في كتابه وأثنى عليهم فأوجب لهم الجنة ، فالواجب علينا ولا يتهم ونشهد لهم بالجنة " [١]

٣- وتجب علينا ولاية أنفسنا وذلك بالتوبة والإقلاع من الذنوب ، أما ولاية الله ﷻ لعباده فمعرفته بهم ومعرفة مآلهم ومنازلهم في الجنة .

٤- وولاية العباد لله تعالى : فالقبول لما أمرهم به .

٥- وولاية البيضة : فالسلطان العادل فالواجب علينا ولايته . وولاية كاتبه ووزيره وخازنه وجميع من كان تحت لوائه من المسلمين .

٦- وولاية كل من رجع من الشرك إلى الإسلام ومن أهل الخلاف إلى أهل الصواب إذا كان ورعاً في دينه .

٧- وولاية أطفال المسلمين أما أطفال المشركين والمنافقين فالوقوف فيهم .

أما الولاية في ذاتها : فالود بالجنان والثناء باللسان ، فإن قيل لك بما تحب ؟ فقل بالعمل الصـــالح . ولمن تحب ؟ فقل لذي الهيئة الحسنة [١] ولا تحب إلا علم

---

(١) استمر المؤلف فذكر ،أسماءهم وأوصافهم كما ذكرهم الله تعالى في كتابه الكريم (علي يحيى معمر).

منه خير وهو المستحق لها ، فإن قيل لك من ثياب عليها ؟ فقل المتولي لمن ذكر ، وقيل يثابان معاً ، ومن تولى من لا تجب له الولاية فقد كفر ومن أخرها بعد وجوبها فقد كفر ، وضد الولاية البراءة ، وضد البراءة الولاية ، فإذا وجبت الولاية لم تسقط إلا بالبراءة وإذا وجبت البراءة لم تسقط إلا بالولاية ، والمسلمين إنما تجب ولا يتهم بالوفاء في الدين ، وولاية الأشخاص تجب بأربعة أوجه أن تقبل الأذنان ما سمعتا ، والعينات كما أبصرتا ، ويوافقهما القلب في ذلك ، وعلى الشريعة ومن لم يوال بعد هذه الوجوه كلها فقد كفر كفر نفاق .

ثم انتقل إلى أحكام البراءة فقال والبراءة على أربعة أوجه وقيل ستة :

١- براءة الكفار جملة من عرفناه ومن لم نعرفه الحي منهم والميت الإنس والجن.

٢- وبراءة أهل الوعيد وهم الذين ذكرهم الله في كتابه فأوجب لهم النار فالواجب علينا أن نبرأ منهم ونعرف أنهم من أهل النار .

٣- وبراءة الأشخاص كل من رأينا منه شراً تجب علينا براءته والقصد إليه بها .

٤- وبراءة السلطان الجائر وبراءة كاتبه ووزيره وخازنه وأما من كان تحت لوائه فلا .

٥- وبراءة كل من رجع من الإسلام إلى الشرك ومن أهل الصواب إلى أهل الخلاف [١].

وسكنت الأم فالتفت إليها نجيب وقال لقد لخصت لنا موضوع نقاشنا في قاعدة الولاية والبراءة تلخيصاً ، رائعاً يا أماه .

---

(١) الحال المرضية لمن أستوفي ما افترض الله لا عليه بالعمل أو القول وأجتنب ما نهاه الله عنه (علي يحيى معمر)

(١) مقدمة التوحيد : من ص٦٣ -٧٧ .

قالـــت الأم : علي أن أقول لكم إني تصرفت في الترتيب فقد نقلت إليكم ما كتبه أبو حفص بنصه ولكنني لم أتبع ترتيبه كما أنني لم أذكر لكم أسماء الأشخاص التي أوردها.

قـــال الأب : كان يحسن بك أن تذكري لنا ما قاله شراح العقيدة في التفريق بين ولاية المنصوص عليه وغير المنصوص .

قالت الأم : قال البدر الشماخي [٢]في شرحه على العقيدة ، (ومن ضيع ولاية مـــن وجبـــت ولايـــته فقد كفر ، فإن كان من المنصوص عليهم أو نزل فيه النص بعد التضييع فهو مشرك ، وقيل فيمن ضيع من نزل فيه النص بعد التضييع أنه منافق بالتضييع ، وقـــال في موضع آخر من شـــرحه (ومن تولى من لا تجب له الولاية) أي من كان فيه معـــنى بريء من مرتكبه كبعض الكبائر فإن كان من المنصوص عليه في كتاب الله فتولاه فهو مشرك ، ومن تولى غيره منافق وكذا حكم من أخرها) [١].

قال الأب : يعني أن من تبرأ من المنصوص عليهم بالخير فهو مشرك ، أما من تبرأ مـــن غيرهم ممن تجب له الولاية فهو منافق ومن أخرها عن المنصوص بعد قيام الحجة فهو مشـــرك ومـــن أخرها عن غيرهم ممن تجب له فهو منافق ، ومن تولى المنصوص عليهم العذاب فقد أرك وكذا إن أخر عنهم البراءة أما من تولى من تجب منه البراءة بغير النص أو أخرها بعدما وجبت فقد كفر كفر نفاق .

---

(٢) هو أبو العباس أحمد الشماخي _ ت٩٢٨ / ١٥٢٢) ، سكن يفرن وتعلم على يد أبي عفيف صالح بن نوح ، سافر إلى عدة مدن طلباً للعلم .

له عدة مؤلفات منها : أ- شرح عقيدة التوحيد .

ب- كتاب السير .

ج - مختصر العدل والأنصاف .

د - شرح كتاب مرج البحرين .

هـ - اعرب مشكل الدعائم .

(١) مقدمة التوحيد : ص٧٠ ، بتصرف .

قـــال نجيـــب : لقد عجبت من أمي يا أبي فقد كنت أحسب أنها تحفظ عقيدة التوحيد فقط فإذا بها تحفظ شروحها أيضاً .

قالـــت الأم : إنني لا أحفظ الشروح كلها وإنما أحفظ شروح بعض الجمل منها كالتي ذكرت لكما .

قال الأب : بارك الله لك في أمك يا بني وبارك لها فيك .

قالت الأم : وبارك الله لي في زوجي الحبيب والنجيب في أبيه .

ونهض نجيب فألقى على أبويه تحية المســاء وغادر أبويه إلى حجرته الخاصة .

الليلة السابعة

- القضاء والقدر

الليلة السابعة

اجتمعت الأسرة الصغيرة كما تجتمع كل ليلة ، وأحضرت الأم إبريق الشاي معها فقد أرادت أن لا تقوم أثناء الحديث ، كما أنها لا تريد أن تكون هدفاً لنكت زوجها اللاذعة .

وسرح كل من الأبوين مع حديث نفسي بعيد عن موضوع الاجتماع وانتظر نجيب أن يعود أحدهما من شروده الذي طال ونقل بصره بينهما عدة مرات حتى شعر بالسأم فقال : هل نواصل الحديث في موضوع للسمر الماضي يا أبي ؟ .

وعاد الأبوان من شرودهما على صوت نجيب وقال الأب : ماذا كنت تقول يا نجيب ؟

قال نجيب : أريد أن نبدأ سمرنا المتع فما هو الموضوع الذي سنتحدث عنه ؟

قال الأب : إذا بدأنا الحديث فإن الموضوع سوف يعرض نفسه علينا دون أن نبحث عنه .

قال نجيب : هل هذا معنى قولهم : (الحديث ذو شجون) .

قال الأب : يقصدون بذلك إن الحديث يتشعب ، في موضوع فلا تلبث أن تجد نفسك في موضوع ثان دون أن تشعر بالانتقال أو تنتبه إليه .

قال نجيب : حقا إن الإنسان عندما يتحدث ينتقل من موضوع إلى موضوع دون أن يدري .

قالت الأم : لأن الإنسان لا يملك القوة التي يسير بها الأشياء في الحياة وإنما هو فرد تجري عليه أحكام يسير بها نظام العالم كله .

قال نجيب : إن تعبيرك هذا فلسفي بعيد المرمى ولذلك فلم أستطع أن أحلق إليه فهل لك أن تشرحي لي وجهة نظرك يا أماه ؟

قالت الأم : لعل أباك هو الذي يتولى الحديث في الموضوع ريثما أجهز لكما هذا الإبريق من الشاي .

قال الأب : ألا ترى إن كل إنسان يأمل أن يكسب مالاً وفيراً أو علماً غزيراً ، أو جاهاً كبيراً ، أو محبة عند الناس أو كل ذلك أو غير ذلك مما يطلبه الناس ؟

قال نجيب : ذلك فيما يبدوا ما طبع عليه البشر .

قال الأب : وهل يبلغ كل واحد من الناس هذه الآمال التي جعلها نصب عينيه ، وسعى إليها بما يملك من جهد وقوة ؟

قال نجيب : إن الناس في ذلك لا يتساوون فمنهم من تتحقق له كل الآمال ومنهم من يتحقق له بعضها ومنهم يخفق فيها جميعاً .

قال الأب : لماذا يا ترى تتحقق كل آمال بعض الناس وتخفق كل آمال بعض الناس الآخرين بينما تتفاوت درجات البعض الآخر في مقدار ما يتحقق لهم من المطالب ؟

قال نجيب : إن هذا يرجع فيما أرى إلى استعداد كل واحد منهم ومقدار علمه بالطريق التي تؤدي إلى النجاح ومدى معرفته بالعمل ومداومته وإقباله عليه .

قال الأب : هل ترى أن هذه هي كل الأسباب التي تنتج عنها الفروق السابقة .

قال نجيب : هذا ما أظنه وقد تكون أسباب أخرى لم أتفطن إليها الآن .

قال الأب : إن بعض الناس يتخذ لنفسه غاية معينة يريد الوصول إليها ويتخذ لذلك جميع الوسائل الكفيلة بالتحقيق في نظره ولكنه في أخر اللحظات يجد عائقاً ليس في الحسبان فيرتد عن عزمه ويخفق في تحقيق غايته ، فكيف تعلل إخفاقه هذا ؟ إنه لم يقصر في الاستعداد ، و لم يقصر في المعرفة ، و لم يقصر في الجد والمداومة والإقبال ؟

قال نجيب : قد يكون العائق تقصيراً في إحدى هذه الأشياء وقد يكون العائق شيئا فوق إرادته .

قال الأب : ماذا تعني بقولك فوق إرادته ؟

قال نجيب : إذا كان الله لا يريد أن يتم ذلك العمل .

قال الأب : هل تعتقد أن إرادة العبد معلقة على إرادة الله ؟

قال نجيب : هذا أمر طبيعي فإن الإنسان لا يستطيع أن يعمل عملا لا يريده الله ، ولا أن يمتنع عن عمل قدره الله .

قال الأب : صدقت يا بني وليس هذا الحكم على الإنسان فقط وإنما هو على جميع المخلوقات ، فلو أن من في السماوات والأرض اجتمعوا على شيء لا يريده الله فإن ذلك شيء أراده الله لما كان لاجتماعهم أثر .

قالت الأم : وهذا معنى الإيمان بالقضاء والقدر .

قال الأب : هو ذلك ولن يتم إيمان الإنسان حتى يؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره أنه من الله .

قال نجيب : هل هناك فرق بين معنى القضاء ومعنى القدر ، أم أنهما كلمتان تطلقان على معنى واحد ؟

قال الأب : لكل منهما معنى غير المعنى الذي تطلق عليه الثانية .

قال نجيب : فما معنى كلمة القضاء ؟

قال الأب : القضاء هو حكم الله على الخلق في الأزل ، وشرحه العلامة السالمي[1] بقوله " إن القضاء عبارة عن وجود المكونات في اللوح إجمالاً "[2] .

---

(١) السالمي : عبدالله (١٢٨٦-١٣٣٢ /١٨٦٩ -١٩١٤) ولد بالرستاق ببلد عمان ، اتسم بحركية نادرة في النشاط العلمي ، وانتهى إلى إحياء الإمامة في عمان على يد الإمام سالم بن راشد .

١- أنوار العقول ، ومشارق أنوار العقول .

٢- حاشية على الجامع الصحيح .

٣- تلقين الصبيان ما يلزم الإنسان : هذا الكتاب القيم الموجه أساسا للناشئة بأسلوب يسير ومنهجية محكه ؛ ندعو الله أن يوفقنا إلى إعداده للطبع ضمن مشروع " العلوم الشرعية بأسلوب ميسر للناشئة " . هذا المشروع الذي افتتحناه بهذه الأسمار التي بين يدي القارئ الكريم .

(٢) انظر : " بهجة الأنوار " طبعة سلطنة عمان : ج١ ص١٣٤ .

قال نجيب : وما معنى القدر ؟

قال الأب : هو تنفيذ قضاء الله على المخلوقات في ما يزال . وقد شرحه العلامة السالمي بقوله : " القدر عبارة عن وجودها في المواد تفصيلاً " [٣].

قال نجيب : وما معنى الأزل يا أبي ؟

قال الأب : الأزل كون الله موجوداً ولا شيء غيره من المخلوقات .

قال نجيب : وما معنى ما يزال يا أبي ؟

قال الأب : هو الزمن الذي ظهرت منه المخلوقات بإرادة الله على مسارح الكون في أوقاها المختلفة ، وظهور الأشياء في أوقاها وأزمنتها حسب حكمة الله وإرادته هو ما يسمى بالقدر فحكم الله بالمخلوقات جميعاً من أجسام وأعراض وغيرها يسمى القضاء وتنفيذ إرادة الله بالخلق يسمى القدر .

قال نجيب : يعني إن الله ﷻ قضى قبل أن يخلق شيئا من الخلق إننا سيجتمع هذه الليلة على هذه الهيئة ونشرب كوب الشاي وتناقش هذه المواضيع .

قال الأب : نعم يا ولدي وهذا ما يطلق عليه القضاء وتنفيذ هذا الحكم في هذا الزمان المقدر والمكان المقدر على الهيئة المقدرة في علمه تعالى هو ما يسمى بالقدر .

قال نجيب : وكل ما يقع في الكون يجري هذا المجرى ؟

قال الأب : نعم يا ولدي فلا يقع شيء كبير ولا صغير إلا بقضائه وقدره .

قال نجيب : نعم يا ولدي أن جميع ما يقع في الكون قصي به قبل عملية الخلق ثم قدر في أوقاته ومناسباته حسب علم الله وإرادته وأجري في أزمنته بظروفه .

قال نجيب : إذن فالأعمال العظيمة التي يقوم بها أبطال الإنسانية في الحروب والسلام وفي الاكتشاف والاختراع ، هذه الأشياء كلها كانت مقتضيا بها أن تظهر في أزمنتها التي ظهرت فيها وعلى أيدي الناس الذين اكتشفوها .

---

(٣) انظر : " بهجة الأنوار " طبعة سلطنة عمان : ج١ ص١٣٤

قال الأب : ذلك لا ريب فيه .

قـــال نجيـــب : إذن ليس لأطفال الحروب والسلام ، وللمخترعين والمكتشفين وللفلاســـفة والعـــلماء وللعاملين من بناة الحضارات أي فضل ، لأن جميع تلك الأعمال كانت ستقع بدو جهودهم .

قال الأب : إن المؤمن يا ولدي لا ينكر فضل الناس وما قدموه من خير ،

قـــال نجيب : إذا كان العمل الذي قاموا به قد سبق في علم الله انه سيكون فما فضلهم في اكتشافه ؟

قال الأب : يكفي لفضلهم إن إرادة الباري عز وجل قد اختارهم لتنفيذ القدر ، فظهور الاكتشافات والاختراعات ، والعلوم على أيديهم فضل كبير ، ألا ترى إن للرسل فضلا على جميع الخلق ، وهذا الفضل جاءهم من اختيار الله لهم كي ينفذوا إرادته تعالى في تبلـــيغ رســـالته إلى الخلق ولست أعني أن العلماء ومن ذكرته معهم يبلغون إلى مقام الرسل عليهم السلام فهذا معنى لا يخطر على بال مؤمن ولكنني أردت أن أضرب لك مثلا ليتضح لك المعنى الذي تسأل عنه .

قال نجيب : هذا صحيح يا أبي ولكن لا يزال في الموضوع غموض .

قـــال الأب : إن الله خلق الإنسان وأودع فيه قوى على العمل والفهم والتفكير والكســـب والاختيار ثم بين له عن طريق رسله عليهم السلام سبل الرشاد وسبل الضلال وطالبه بالعمل الصالح .

قال نجيب : هذا برهان واضح يا أبي .

قـــال الأب : إذن لم يبق للإنسان إلا أن يعمل حسبما طلب منه وهو ميسر لما خلق له فإذا قدر له أن ينجح نجح ، وإذا قدر له أن يخفق أخفق .

قال نجيب : هل تضرب لي أمثلة على ذلك يا أبي ؟

قال الأب : قد قرأت وسمعت عن اكتشاف الذرة في هذا العصر .

قال نجيب : نعم يا أبي .

قال الأب : إن عدداً ضخماً من العلماء كانوا يعملون جاهدين لهذا الاكتشاف وكان كل واحد منهم يحاول بكل ما أوتي من علم وإمكانيات إن يسبق غيره إلى النتيجة تؤيده في ذلك دولة أو عدد من الدول .

قال الأب : ولكن واحداً منهم يفوز قبل الآخرين .

قال نجيب : هذا طبيعي .

قال الأب : مع أن كل واحد منهم قد يذل ما يملك من جهد وله استعداده العلمي والمالي وغيره مما يتطلبه هذا البحث الهام .

قال نجيب : لا شك أن كل واحد استعد للموضوع بكل ما يملك من إمكانيات .

قال الأب : ويحتمل أن يكون الذي سبق إلى الاكتشاف أقل استعداداً من الآخرين بوجه من الوجوه وقد يخفق من كان يتوقع له النجاح وينجح من لم يعلق عليه الأمل في النجاح .

قال الأب : وقس على هذه الحالة جميع الأشياء التي تمت على أيدي المخلوقين .

قال نجيب : حسنا .

قال الأب : لماذا يفوز ذلك الشخص دون بقية الأشخاص الذين اهتموا بالمسألة وهم كلهم أمروا بالعمل فاستعدوا وجدوا في الكفاح ؟

قالت الأم : لان إرادة الله يسرته دون الآخرين للقيام بهذا العمل وقدر الله أن يكون هذا الاكتشاف على يده .

قال الأب : وهذا معنى قول ﷺ (**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**)[1] إن الذي يسر لاكتشاف الذرة اكتشف الذرة والذي يسر لاكتشاف البنسلين اكتشف البنسلين والذي يسر لاكتشاف أمريكا اكتشف أمريكا والذي يسر لاختراع الطائرة ، اختر

(١) رواه البخاري في باب القدر وباب التوحيد ، ومسلم في باب القدر وروي في جل المسانيد الأخرى .

الطائـــرة وهكذا ينفذ قضاء الله وقدره على أيدي المخلوقات حسبما يسره لكل منها في جميع الجلائل والدقائق مما يحدث في الكون .

قـــال نجيـــب : وهكذا ننتهي إلى أن كل شخص سوف يصدر منه العمل الذي كان ميسرا له .

قالت الأم : هذا صحيح فإن الإنسان لا يستطيع أن يقوم إلا بالعمل الذي يسر له

قـــال نجيب : وعلى هذا الأساس يصبح الشخص الذي قدم أعظم الأعمال فيما يعتقده الناس لم يقدم إلا ما يسره الله له .

قال الأب : وهل يقع في الكون إلا ما يريده الله وييسره ؟

قال نجيب : فلماذا نسند الأعمال إلى الناس ونعترف لهم بالفضل ؟

قـــال الأب : نعـــترف لهم بالفضل على جهودهم المبذولة وكفاحهم المتواصل وتفضـــيلهم السلوك في طريق الرشاد بدلاً من طريق الغي . واختيار إرادة الله ليقدموا لنا هذا الجميل .

قال نجيب : إن الشكر الله لا لهم .

قال الأب : نعم إن الشكر الله فإن جميع النعم ما ظهر منها ومتا بطن وما عرفناه وما لم نعرفه فإنما هي منه ولكن شكر الله على آلائه[1] التي لا تحصى ، لا يمنعنا من شكر الناس على ما لهم من فضل وللناس فيما يقدمون من أعمال فضل وجميل يجب أن يشكروا عليه .

قال نجيب : وكيف ذلك يا أبي ؟

قال الأب : أرأيت لو أن أحد أصدقائك أهدى إليك كتابا وأرسله مع خادمه أو ابنه أو أحد أصدقائك ، ألا تشكر من أوصل إليك هدية الصديق حين تتسلمها منه ؟

قال نجيب : أشكره طبعاً .

---

(١) الآلاء : النعم ، ومنه ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

قال الأب : لماذا تشكر الخادم ؟ والهدية إنما جاءتك من الصديق لا من الخادم ، فهو عبارة عن آلة كلفت بالتوصيل فأوصل إليك ولو لم يأتيك به هو لأتاك به غيره .

قال نجيب : إنما أشكره على تكلفه التعب ومشقة السير إلي .

قال الأب : إنه لم يتكلف التعب من أجلك و لم يكبد نفسه عناء السير لإرضائك وإنما كان ذلك قياماً بواجبه وإرضاء لمن أرسله لأنه مكلف بذلك .

قال نجيب : إذن فنحن نعترف بفضل المخترعين والمكتشفين والعلماء وكل من أسدى جميلاً إلى البشرية على أنهم قاموا بدور الخادم .

قال الأب : ما دمت قد اخترت هذا التعبير فهل ترى أشرف أو أكرم من أن تكون خادماً لله توصل نعمته إلى خلقه ؟

قال نجيب : ليس فوق هذه المرتبة مرتبة فإن أفضل الخلق من تشرف بنسبة عبوديته إلى الله واختاره لحمل رسالته ونعمه إلى خلقه ، ثم التفت إلى أمه وقال : هل لك يا أماه أن تختمي لنا هذا النقاش ببعض ما تحفظين ؟

قالت الأم : قال رسول الله ﷺ : لعبادة بن الصامت [1] رضي الله عنه **((إنك لن تجد ولن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تؤمن بالقدر خيره وشره أنه من الله تعالى . قال : وكيف لي**

(١) عبادة بن الصامت : صحابي جليل من الأنصار ، نزلت فيه آية ٥٦ في سورة المائدة ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

اشتغل في عهد خلافة عمر رضي الله عنه معلما ومفقها للناس في دينهم ، ولم يقبل أي منصب من مناصب الحكم ، وسافر بعدها إلى الشام إلى فلسطين وصفه الأدباء بأنه " كالماء حيثما نزل ، يقع على الأرض القحط فيذرها جنة خضراء " .

وقد رأى – وهو في فلسطين – اعوجاج سيرة معاوية فناصبه العداء وقال : " بايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نخاف لومة لائم ".

ومن عظمته رضي الله عنه أنه شارك في جميع غزوات الرسول ﷺ وفي فتوح الشام ، وشارك في جميع القرآن . توفي رضي الله عنه بالرملة أو بيت المقدس سنة ٣٤ هـ في سنة الثانية والسبعين .

يـــا رسول الله أن أعلم خير القدر وشره ؟ قال : تعلم إن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فإن مت على غيره ذلك دخلت النار)) [٢].

وســئل رســول الله ﷺ عن الإيمان فقال : ((**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره أنه من الله تعالى**))[١].

وروى الحافظ الحجة الربيع بن حبيب [٢]عن أبي عبيدة مسلم [٣]عن جابر بن زيد [٤]قال:بلغني عن رسول الله ﷺ قال:((**كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس**))[٥].

قال نجيب : صدق رسول الله ﷺ، ثم قام فألقى تحية المساء على أبويه وانصرف.

---

(٢) رواه أبو داود في باب السنة ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهما من أهل السنن . .

(١) رواه الشيخان في باب الإيمان ، وغيرهما من أهل السنن .

(٢) الربيع بن حبيب : ابن عمــرو الأزدي الفراهيدي (٧٥-١٧٠-٦٩٤/ ٧٨٦) ، ولد بقــرية (بودام) في عمان ، رحل إلى البصرة وأخذ العلم عن الإمام جابر بن زيد ، وتتلمذ خاصة على يد أبي عبيدة مسلم ومجموعة من مشايخ الاباضية بالبصرة ؛ وقد تولى إمامة الاباضية بعد وفاة أبي عبيدة . وهو صاحب عمدة الاباضية في الحديث " الجامع الصحيح " .

(٣) أبو عبيدة ؛ مسلم بن أبي كريمة (-١٤٥/ -٧٦٧) ، تميمي بالولاء أخذ العلم عن جابر بن زيد وجعفر السماك وصحار العبدي ، وترأس الاباضية بعد موت الإمام جابر ، وبإشارته أسس تلامذته – حملة العلم – في المغرب وحضرموت دولا مستقلة . ويحسن بنا أن نسميه الأستاذ الناشر ، لاعداده حملة العلم ولنشره المذهب الاباضي مشرقا ومغربا .

للتوسع انظر بحث المذهب الاباضي : نشأته واراؤه السياســة والعقدية " ل محمد موسى بابا عمي .

(٤) جابر بن زيد (٩٣ /٧١٠ –٧١١) : أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي الجوفي البصري العماني ، أصله من (فرق) وهي قرية صغيرة بأعمال (نزوى) بعمان .

ولد لسنتين خلون من خلافة عمر بن الخطاب أي سنة (٢١ / ٦٤١ –٦٤٢) .

رحل في طلب العلم وصاحب بحر الأمة ابن عباس ﷺ ، وأخذ عنه وعن ٧٠ بدريا .

يعتبر بحق أصل المذهب الاباضي وأساسه ، أول من جمع الحديث في ديوان مفقود ، ذكرت المصادر أنه وقر بعير .

(٥) رواه الربيع بن حبيب في باب القدر والحذر والتطير .

الليلة الثامنة

- المنكر لحكم من أحكام الإسلام .
- المستحل لما حرم الله .
- المقارف للمعصية .
- التفاوت في المعاصي .

الليلة الثامنة

اجتمعت الأسرة كما اعتادت بعد صلاة العشاء وأحضرت الأم معها الشاي جاهزاً فما جلسوا حتى أفرغت لكل واحد منهم كوبا وبدأ نجيب السمر هذه الليلة فقال : لقد بينت لنا يا أبي الحكم فيمن أنكر شيئاً مقطوعاً به من الدين وفيمن استحل محرماً وفيمن ارتكب المعصية انتهاكا ؟

قال نجيب : نعم ! إني اذكرها فإن المنكر والمستحل يحكم عليهما بأنهما مشركان أما الذي يرتكب المعصية سواء كانت عملا أم تركا وهو يقر بأن عمله ذلك حرام فيحكم عليه بالنفاق أو الفسوق أو كفر النعمة كما سبق أن بينت لي معنى هذه الكلمات الثلاثة .

قال الأب : أحسنت يا بني فإن المنكر لشيء مقطوع به راد على الله وهذا فيما يتعلق بالدين أو فيما أثبته القرآن الكريم أما فيما يتعلق بأمور الدنيا فليس في ذلك محذور .

قال نجيب : أريد مزيد إيضاح لهذا الاستدراك يا أبي .

قال الأب : حسنا ، ألا ترى أن باريس مدينة موجودة مقطوع بوجودها .

قال نجيب : نعم لا يشك في ذلك أحد .

قال الأب : فإذا وجدت شخصا ينكر وجود ذلك فيما تحكم عليه .

قال نجيب : لا أدري .

قال الأب : أحسنت في هذا الجواب فإن المؤمن يجب أن يكون وقافا فيما لا يدري .. ألا ترى أن مكة مدينة موجودة أيضاً .

قال نجيب : نعم لا يشك في ذلك أحد .

قال الأب : فلو وجدت شخصاً ينكر وجود مكة كما وجدت شخصاً ينكر وجود باريس فماذا تحكم عليه ؟

توقف نجيب قليلاً وفكر ملياً ثم قال : الحقيقة أني لم أعرف الجواب .

قال الأب : أحسنت يا ولدي أيضاً ، إن من ينكر وجود باريس أو أي شيء من الأشـياء التي يتحقق الناس وجودها لا يكون بذلك مرتكباً لشيء حرام ولا يترتب عليه شـيء ، أما الذي ينكر مكة أو أي شيء ذكره القرآن الكريم وأثبت وجودة فإنه يكون مرتكباً خصلة من خصال الشرك إذ يكون موقفه ذلك تكذيباً بما جاء به القرآن وتكذيب كتاب الله شرك ، وكالمنكر لشيء مقطوع به من طريق الشرع ، المستحل لما حرم الله من عمـل أو ترك لأن استحلاله تكذيب لله ﷻ وإنزال لشرع لم يأذن به الله كما سبق أن تحدثنا عليه في سمر سابق ، أما الذي يرتكب المعاصي وهو مقر بأن عمله ذلك حرام فهو كافـر كفر نعمة وان كانت المعاصي تتفاوت في فظاعتها وقبحها ولذلك فقد اختلفت أحكام الله لم يتب منها فهو الخلود في دار العذاب .

قال نجيب : كيف تتفاوت المعاصي في فظاعتها يا أبي ؟

قـال الأب : تتفاوت المعصية في فظاعتها من جهتين : الجهة الأولى في ارتكاب المعصية والجهة الثانية في نوع المعصية .

قال نجيب : وكيف ذلك يا أبي ؟ كيف تتفاوت المعصية في ارتكابها ؟

قال الأب : من الناس من يلم بالمعصية لغلبة النفس أو الشيطان ، شيطان الجن أو شيطان الإنس ولكنه سرعان ما يأسف على ما أقدم عليه ويندم على ما أرتكبه في جنب الله ويـتوب إلى ربه ويستغفره ويعزم على عدم العودة إلى الذنب ، ومن كان على هذه الحال يرجى له الخير ، ولا يبرأ منه بعد التوبة لأن التوبة تمحو الذنوب .

قالـت الأم : وقد جاء في القول المأثور : التائب من الذنب كمن لا ذنب له . وقـال ﷻ في كـتابه الكريم : ﴿ ***إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَـتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ***

لِلَّذِيـنَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [١] .

قال الأب : صدقت فيما استشهدت به من القرآن ومن القول المأثور فإن فظاعة الذنب في الإصرار .

قال نجيب : وما معنى الإصرار يا أبي ؟

قـال الأب : أمـا معناه في اللغة فهو الإقامة على الشيء والثبات فيه وأكثر ما يسـتعمل في الشرور والآثام . أما في الشرع فهو الإقامة على الذنب ، ومعاودة ارتكاب المعصية والإعراض عن التوبة ، وعدم الإنابة إلى الله تعالى وقد قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٢]وقال في التنديد بالكفار : ﴿ وَإِنِّـي كُلَّمَـا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَـوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَـرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ [٣] وقال : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٤] .وقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ ﴾[١].

قال نجيب : إن حالة المصرين تكاد تكون من أحوال المشركين .

قال الأب : إن الفرق بينهما إن العاصي المصر مقر بالشهادة معترف بأحكام الله ، ولكن الإقرار باللسان مع المعصية بالجوارح هو كفر بالنعمة ومرتكبه من أصحاب النار وان لم يحكم عليه بالشرك .

---

(١) سورة التوبة الآيات : ١٧- ١٨ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٣٥ .

(٣) سورة نوح الآية : ٧ .

(٤) سورة الجاثية الآيات : ٧- ٨ .

(١) سورة الواقعة الآيات : ٤٥-٤٦ .

قال نجيب : هل يبرأ من مرتكب الكبيرة يا أبي ؟

قال الأب : إن الناس في ذلك مختلفون يا ولدي .

قـــال الأب : إن الـــرجل الذي يعرف عنه حسن الحال وتقوى الله إذا ارتكب كبيرة يدعى إلى التوبة أولا ، فإن استجاب للتوبة وندم على ما فعل واستغفر ربه وأناب ، بقي في الولاية ولا تجوز البراءة منه .

قال نجيب : قلت يا أبي إن المعاصي تتفاوت في فظاعتها فكيف ذلك ؟

قـــال الأب : إن المعاصي مختلفة في فظاعتها وفحشها ، فمنها ما يهدم ركناً من أركـــان الديـــن ، ومنها ما يضر بالأمة المسلمة ، ومنها ما يضر بالدولة ، ومنها ما يضر المجـــتمع ، ومنها ما يعود ضروها على مرتكبها فقط ، وقد توعد الله مرتكب جميع أنواع المعاصـــي بالعذاب الأليم في الآخرة ، أما عقوبته في الدنيا فقد جعلها تتناسب مع فظاعة المعصية وفحشها .

قال نجيب : هل تذكر لي أمثلة لذلك يا أبي ؟

قـــال الأب : يســـافر مسلم إلى بلد غير إسلامية فيدخل مطعماً ويقدم له طعام يشـــمل على أنواع من اللحم غير المذكى أو على لحم الخترير فيلتهمه في نهم وهو يعرف أنه حرام ويقر بذلك .

قال نجيب : ما الحكم على هذا الرجل يا أبي ؟

قال الأب : الحكم على هذا الرجل واضح لا يحتاج إلى سؤال فقد ارتكب كبيرة لأكله الحرام فهو بذلك عاصي يستحق البراءة إلا إن معصيته من النوع الذي لا يضر إلا صاحبه .

قال نجيب : ألا يعتبر هذا الرجل مضطراً ؟

قال الأب : وما وجه الضرورة والبلد مشحون بالطيبات ؟

قالت الأم : أنه يستطيع أن يتأكد من الذكاة أو أن يشتري لنفسه ما يطمئن إلى أنه حلال وفي إمكانه أن يستغني عن اللحوم في المدة التي يقضيها في بلا الشرك والوثنية .

قال الأب : ويفتتح إنسان متجراً لبيع المواد الغذائية أو غيرها من المواد الضرورية التي يحتاجها الناس كل يوم فيتعامل مع الناس بالربا أو يحتكر الأقوات الضرورية لأوقات الغلاء وذلك بأن يشتريها جملة من السوق ثم يبيعها بالتفصيل عندما تفقد وبذلك يستغل ضعف الفقراء ليزيد إلى ثروته التي كونها بالحرام مزيداً من الثروة .

قال نجيب : هذا سلوك دنيء وخلق ذميم .

قال الأب : هل حرم الله غير السلوك الدنيء والخلق الذميم ؟ أليس هذا ضارا بالمجتمع ؟

قال نجيب : إن هذا يضر بالمجتمع ضرراً بالغاً .

قال الأب : ويتسلح آخر فيقطع الطريق ، ويهجم على أبناء وطنه يقتل ويحبس ويصادر الأموال ليصل إلى الحكم وليستولي على الأموال .

قال نجيب : هذا مضر بأمن الأمة والدولة .

قال الأب : إن جميع ما حرمه الله فيه مضرة أما بالفرد أو بالمجتمع أو بالدولة ، وما ذكرت لك إلا أمثلة فقط لأنواع من المعصية تتفاوت في فحشها وفظاعتها وقد شدد الله أنواع العقوبة على أنواع المعاصي حسب فحشها وفظاعتها واكتفى في بعض المعاصي بالعذاب في الآخرة دون النكال [1] في الدنيا .

قال نجيب : هل تذكر لي يا أبي أمثلة من أنواع العقوبة على المعاصي في الدنيا ؟

قال الأب : قطع الطريق جريمة تقلق الأمة ، وتهدد الأمن ، وتسد سبل الرزق في أوجه الناس .

قال نجيب : هذا صحيح فما عقوبتها الدنيوية في حكم الإسلام ؟

---

(١) النكال : العقاب والصنيع الذي يكون عبرة للغير . ومنه : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا ﴾ .

قال الأب : قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ *إِنَّمَا جَزَاءُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ* ﴾ (٢).

قالت الأم : قال الأستاذ سيد قطب في تفسير هذه الآية ما يأتي : والأمر ما قال النص : ﴿ *ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ* ﴾ والخارجون بالقوة المسلمة على نظام الجماعة ، لا يحاربون الله على ظاهر النص ، لأن الله لا يحاربه العباد بالسيف ، وقد لا يحاربون رسول الله بشخصه ﷺ - فقد يكونون من المسلمين الخارجين على النظام في غير عهد رسول الله .. إنما أراد بحرب الله ورسوله ، حرب شريعة الله وشعائره وحرماته ، وتهديد الجماعة الإسلامية التي كفلت لها الشريعة الإسلامية حرماتها جميعاً إلا بحقها ، وإنما أراد بهذا النص إن السلطان الذي يحق له أن يعاقب الخارجين بعقوبة الله ، هو السلطان الذي يقوم على شريعة الله ورسوله ، وينفذ شريعة الله ورسوله ، فأما الذين يخرجون على نظام غير نظام الله ورسوله فليس لأحد أن يأخذهم باسم هذه الشريعة ، ولا أن يعاقبهم بعقوبات هذه الشريعة .

نقرر هذا بوضوح لأن بعض أذناب السلطة في كل زمان ، كانوا يفتون لحكام لا يستمدون وجودهم من شريعة الله ولا يقومون على تنفيذ هذه الشريعة ، يفتون لهم بأن يأخذوا الخارجين عليهم بتلك العقوبات باسم شريعة الله ، وهؤلاء الخارجون لم يكونوا يحاربون الله ورسوله لأنهم إنما كانوا يحاربون سلطة خارجة على شريعة الله ورسوله .. أنه ليس لسلطة لا تقوم على شريعة الله ان تأخذ الخارجين عليها بإسم شريعة الله لهذا كان النص ﴿ *ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا* ﴾ يسعون في الأرض

(٢) سورة المائدة الآية : ٣٣ .

فســاداً بمحاربــتهم الله ورسوله ، وبانتهاكهم بالقوة حرمات الله ورسوله ، وباعتدائهم المسلح على أمن الجماعة القائمة بشريعة الله ورسوله [1].

قــال نجيب : لقد قرأت الآية من قبل ولكن لم يتضح لي هذا المعنى أما الآن وقد سمعــت مــا نقلته يا أماه فقد أتضح لي المعنى وفهمت لماذا نصت الآية الكريمة إن جريمة المحــاربين الموجهة إلى الله ورسوله إنما هي موجهة إلى شريعته وان الذين لا يعملون بهذه الشريعة ولا يتبعون أحكامها في أنفسهم لا يحق لهم أن يطبقوا عقوبتها على غيرهم .

قالــت الأم : انك سوف تقرأ لأعلام الإسلام من القدماء والمعاصرين وستزداد فهماً وعلماً .

قــال الأب : لقــد أحسنت أمك يا نجيب فيما قالته لك فهل لك أن تعود إلى الموضوع .

قال نجيب : إنني في شوق إلى ذلك .

قال الأب : الزنا جريمة تلوث أعراض الناس وتخلط بين أنسابهم وتشيع الفاحشة في الأمــة فحكــم الله على مرتكبها بالرجم إذا كان محصناً وبالجلد إذا كان بكراً وهذه العقوبة الفظيعة تناسب فظاعة هذه الجريمة وفحشها .

قال نجيب : ما معنى الرجم يا أبي ؟

قال الأب : يؤخذ الزاني إذا كان محصــنا فتحفر له حفرة ويدفن إلى السرة [1]، أن كان رجلاً وإلى الإبطين [2]إن كان امرأة ثم يرمى بالحجر والتراب والعظام وغيرها مما تقع عليه اليد حتى يموت .

قال نجيب : وما معنى المحصن يا أبي ؟

---

(١) في ظلال القرآن ٢ / ٨٧٨ .

(١) السرة : التجويف الصغير المعهود في البطن .

(٢) الابط : باطن المنكب .

قال الأب : المحصن هو الذي سبق أن تزوج زواجاً شرعياً سواء بقي على زواجه حين ارتكابه الزنا أو صار بدون زوج .

قال نجيب : ولماذا خفف الله عن الزاني إذا كان بكرا وشدد عليه حين يكون محصناً .

قالت الأم : لقد تحدث على ذلك الأستاذ سيد قطب فقال : " فترى أن عقوبة البكر هي الجلد ، وعقوبة المحصن هي الرجم ، ذلك أن الذي سبق له الوطء في نكاح صحيح وهو مسلم حر بالغ قد عرف الطريق الصحيح النظيف وجربه ، فعدوله عنه إلى الزنا يشي بفساد فطرته وانحرافها ، فهو جدير بتشديد العقوبة ، بخلاف الغفل[1] الغر[2]، الذي قد يندفع تحت ضغط الميل وهو عزير[3] .

قال نجيب : تعليل معقول جداً .

قال الأب : أما الذي يعمد إلى إنسان آمن فيقتله فقد حكم الله عليه بالقتل يقول الله تعالى في كتاب الكريم ﴿ ***يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ*** ﴾ [4].

قالت الأم : إنه العدل المطلق يا ولدي فمن أزهق روحاً بشرية يجب أن تزهق روحه إلا أن يعفو أولياء المقتول .

قال الأب : أما شرب الخمر فجريمة تؤثر على العقل ، أكرم ما خلق الله في الإنسان ولذلك جعل الله عقوبة شارب الخمر أن يجلد .

---

(١) الغفل : جمع إغفال وهو الذي لا يرجى خيره ولا يخشى شره .

(٢) الغر : الشاب لا خبرة له .

(٣) في ظلال القرآن ٤ / ٢٤٧٨ .

(٤) سورة البقرة الآيات : ١٧٨ –١٧٩ . .

قالـــت الأم : إن شـــارب الخمر أراد أن يفر عن واقع الحياة بشعوره وإحساسه فجعل الله عقوبته أن يجلد حتى يحس الألم ويشعر به .

قال الأب : أما الربا فجريمة تضر بالمجتمع وتكون من الناس طبقات الحرب على المرابي(٥)ن و لم يعين له عقوبة محددة وإنما ترك ذلك لنفسه والذي يترل عليهم ما يشاء من عقوبة في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

قالـــت الأم : قـــال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَـــا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ* ﴾(١) .

قال الأب : وهكذا ترى أن العقوبة التي جعلها الله على الكبائر التي حرمها تتناسب مع فحشها وفظاعتها .

قال نجيب : وحكم البراءة ينطبق على جميع من ارتكب كبيرة من الكبائر سواء كانت عليه عقوبة في الدنيا أو لم تكن .

قـــال الأب : إن حكم البراءة إنما جعل من أجل المعصية لأن من جاهر الله تعالى بالمعصـــية فقـــد عاداه وما كان لمؤمن أن يتخذ من أعداء الله ولياً ، فإن كل من ارتكب المعصية في غضب الله إلى أن يتوب .

قـــال نجيـــب : وهل باب التوبة يبقى مفتوحاً حتى لأولئك المجرمين الذي أوقع عليهم أشد أنواع العقاب ؟

قـــال الأب : إن باب التوبة يبقى مفتوحاً للجميع إذا تمت بشروطها ورحمة الله تبارك وتعالى تقتضي أن لا يغلق بابه دون من يلجأ إليه ويسلم إليه وجهه .

قال نجيب : هل تذكر لي شروط التوبة يا أبي .

---

(٥) المرابين : جمع مراب وهو الذي يتعامل بالربا .

(١) سورة البقرة الآيات : ٢٧٨-٢٧٩ .

قـــال **الأب** : إن سمـــرنا الليلة قد طال وحسبنا ما أفضنا فيه من حديث واذكر الآيات الكريمة التي تلتها علينا أمك وتأمل معانيها فإنك سوف تستروح[١] منها ما يقوي الإيمان في قلبك والاطمئنان إلى نفسك فقام نجيب وألقى على أبويه تحية المساء وانصرف إلى حجرة النوم .

(٢) تستروح : تعرف وتجد الريح والراحة .

الليلة التاسعة

- حكم المستحيل بتأويل الخطأ .
- حكم الناسي .
- حكم الجاهل .
- الابتلاء ومقارفة المعصية .

الليلة التاسعة

توافد أفراد الأسرة إلى حجرة الاجتماع بعد صلاة العشاء متتابعين وكانت الأم آخر الأسرة حضوراً وبين يديها إبريق الشاي .

قالت الأم : ما رأيكما في الشاي على الطريقة الليبية ؟

قال الأب : قد يسبب لك تعبا أكثر ونحن نطلب راحتك .

وقـــال نجيب : قد يشغلك عن مشاركتنا بآرائك القيمة وأنا في أشد الحاجة إلى توجيهاتك الرشيدة .

قالت الأم : أما من جهة التعب فتعبي من أجلكما راحة وأما من حيث الحديث فإنه يلذ لي أن أسمعكما وإذا خطر لي رأي فإنني أقوله .

التفت نجيب إلى أبيه وقال : في أسمارنا الماضية ذكرت الناسي وأنت تتحدث عن المنكر والمستحل والمحرم فهل للناسي حكم خاص به أيا أبي .

قال الأب : هل اتضح لك الحكم على المنكر والمستحل والمحرم ومعنى ما تدل عليه هذه الكلمات يا بني ؟

قال نجيب : إن المنكر حسبما فهمت هو الذي ينكر خيراً أو حكما مقطوعا به عـــن طريق الشرع والمستحل هو الذي يحلل ما حرم الله أو يحرم ما حلل الله دون استناد إلى دلـــيل شرعي والحكم على هذين النوعين هو الشرك فإن كلا مكذب الله راد لشرعه أما المحرم فهو الذي يرتكب المعصية وهو يقر أن عمله ذلك حرام وهذا النوع عليه بكفر النعمة أو النفاق كما سبق أن عرفت .

قـــال الأب : أحسنت بقي لي أن أقول لك أن كلمة المستحل قد تمسك بها أو لتقليده من تمسك بالشبهة .

قالت الأم : يعني إن من يستحل ما حرم الله من عمل أو ترك لا يخلو أما أن يفعل ذلك مكابرة وعناداً وأما أن يفعل ذلك استناداً على فهم خاطئ لحجة من حجج الشرع .

قال الأب : لقد أحسنت التخليص أيتها الزوجة المسلمة .

قال نجيب : أمي تحسن الفهم والتعبير دائما يا أبي وقد فهمت الفرق بين النوعين فما الحكم عليهما .

قال الأب : أما النوع الأول فيحكم عليه بالشرك كما سبق أما النوع الثاني فيحكم عليه بالنفاق ، ولكنه يشدد عليه في توبته فيطلب منه أن يذكر جميع الآثام التي ارتكبها مستحلا لها عندما يتوب ولا يجزيه أن يتوب توبة إجمالية من ذنوبه وذلك لأنه ارتكب الذنب وأخطأ في الفهم والتأويل وحكم بالخطأ على مخالفه وهو مصيب .

قال نجيب : إن هذا واضح جداً يا أبي .

قالت الأم : وهي تمد إلى كل واحد منهما كوباً صغيراً من الشاي ، بقي أن تتحدثا في النسيان .

قال الأب : لقد شدد العلماء في الناسي تشديداً كبيراً .

قال نجيب : لقد كنت اعتقد أن النسيان من طبائع البشر وأنه لا يوجد شخص لا ينسى ، فهل يكون النسيان معصية ؟

قال الأب : إن ما رأيته صحيح إلى حد ما يا ولدي فإن النسيان من طبع البشر غير أن النسيان قد يترتب على الإهمال وعدم العناية .

قال نجيب : وكيف ذلك يا أبي ؟

قال الأب : ألم تحفظ محفوظات في سنوات دراستك الأولى .

قال نجيب : لقد حفظت في كل سنة جميع المحفوظات التي حفظتها المقررة في المنهج الدراسي .

قـــال الأب : هل بقيت في ذاكراتك جميع المحفوظات التي حفظتها في السنوات الدراسية المختلفة و لم تنس منها شيئا .

قـــال نجيب : بل إن كثيرا من المحفوظات التي حفظتها في السنوات الأولى من دراستي قد نسيتها أو نسيت بعضها .

قال الأب : هل تعرف لماذا نسيت تلك المحفوظات .

قال نجيب بعد تفكير وتأمل : ربما لأنني لم أراجعها بعد ذلك .

قال الأب : ألا ترى إن عدم مراجعتك لها يعني الإهمال لها والتهاون بها .

قال نجيب : قد يكون ذلك بسبب الإهمال .

قال الأب : فهذا نسيان بسبب التهاون والإهمال .

قال نجيب في خوف وإشفاق : فهل يعتبر ذلك مني معصية ؟

قال الأب : هذا يرجع إلى نوع العلم أو العمل الذي وقع عليه النسيان .

قال نجيب : وكيف ذلك يا أبي ؟

قال الأب : انك تحفظ أجزاء من القرآن الكريم .

قال نجيب : نعم إني احفظ ثمانية أجزاء من القرآن الكريم واحفظ عدداً من الآيات الكريمة من سور مختلفة .

قال الأب : إن القرآن الكريم كتاب الله الذي يجب على المسلم أن يدرسه وان يتقرب إلى الله تعالى بتلاوته وان يتفهم معانيه ويتدبر معانيه مستعيناً بكتب التفسير واللغة .

قال نجيب : هذا صحيح يا أبي .

قـــال الأب : هب أن شخصاً بعد أن حفظ ما تيسر من كتاب الله أهمله فلم يدرسه و لم يعتد تلاوته ، و لم يتفكر في معانيه والأحكام المستقاة منه حتى مر عليه وقت طويل ، فلما أراد أن يـــرجع إلـــيه وجد نفسه قد نسيه أو نسي بعضه ، ألا يكون هذا النسيان تهاوناً بكتاب الله وإعراضا عنه وإهمالاً له ؟

قال نجيب : إنه كذلك .

قــال الأب : أتــرى إن التهاون بكتاب الله والإعراض عنه ونسيانه شيء يسير من طبع البشر .

قال نجيب : معاذ الله أن أرى ذلك أن هذا إثم عظيم .

قالــت الأم : قال رسول الله ﷺ ((**نظرت في ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من ناسي القرآن**)) (١).

قال نجيب : صدق رسول الله ﷺ .

قــال الأب : إن العــلماء وهــم يتكلمون عن النسيان يشيرون إلى الإهمال والإعراض والــتهاون حتى يصبح الشيء الذي عرفه الشخص معرفة كاملة أو حفظه صحيحاً تاماً كأنه لم يعرفه و لم يحفظه ولإيضاح هذا المعنى سموه بالرجوع عن العلم فقالوا الناسي راجع عن علمه .

قال نجيب : كنت أعتقد إن النسيان أمر بسيط لا يؤاخذ الله عليه .

قال الأب: هناك فرق بين نسيان يترتب عن إهمال وإعراض حتى يصبح في درجة الجهل، ونسيان عارض يذهل فيه الإنسان عن شيء حتى يذكره أحد فيتذكر .

قالــت الأم : مــثل ما وقع لرسول الله ﷺ فقد صلى بأصحابه في صلاة رباعية ركعتين فذكره ذو اليدين (١)فأتم بهم ركعتين .

---

(١) رواه الدرامي في باب الصلاة ، والترمذي في باب القرآن .

(١) أخرجه البخاري والترمذي وابن ماجه ، وأبو داود . بلفظ " عن محمد وهو ابن سيرين عن أبي هريرة قال ﷺ بنا رسول الله ﷺ أحدى صلاتي العشي – الظهر أو العصر – قال : فصلى بنا ركعتين ، ثم سلم ، ثم قال في مقدم المسجد فوضع يديه عليها ، أحدهما على الأخرى . يعرف في وجهه الغضب ، ثم خرج سرعان على الناس ، وهم يقولون : قصرت الصلاة ، وفي الناس أبو بكر وعمر ، فهاباه أن يكلماه ، فقام رجل كان رسول الله ﷺ ذا اليدين فقال : يا رسول الله أنسيت أم قصرت الصلاة ؟ قال : لم أنس ولم

قـــال الأب : هذا النوع من النسيان الذي يأتي عن ذهل لا يخلو منه إنسان وفيه قال ﷺ . ((**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**))[٢] .

قال نجيب : أنه فارق دقيق ولكنه حق .

قال الأب : وهل تجد في أحكام الإسلام باطلاً ؟

قال نجيب : معاذ الله يا أبي إن الدين يختاره العليم الحكيم ليكون دين البشر جميعا ويختـــتم به جميع الأديان لا يكون به باطل ولا نقصان فإن الباطل والنقصان لا يلحقان إلا أعمال المخلوق .

قالـــت الأم : إن تفســـير النسيان والإهمال والإعراض هو ما يفهم من كثير من آيات القرآن الكريم .

قال نجيب : هل تذكرين لي أمثلة على ذلك يا أماه .

قالت الأم : قال تعالى ﴿ *الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ* ﴾ [١].

﴿ *الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ* ﴾ [٢].

﴿ *وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ* ﴾ [٣].

تقتصر الصلاة ، فقال : بل نسيت يا رسول الله ، فأقبل رسول الله ﷺ على القوم فقال : أصدق ذو اليدين فأومئوا أي نعم ، فرجع رسول الله ﷺ إلى مقامه فصلى الركعتين الباقيتين ثم سلم ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع وكبر قال : فقيل لمحمد : سلم في السهو ؟ فقال : لم أحفظه من أبي هريرة . ولكن لثبت أن عمران بن حصين قال ثم سلم .

(٢) رواه ابن ماجه في باب الطلاق .

(١) سورة الأعراف الآية : ٥١ .

(٢) سورة التوبة الآية : ٦٧ .

(٣) سورة الحشر الآية : ١٩ .

﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ [٤]، فإن النسيان في هذه الآيات وأمثالها يد على الإهمال والإعراض لا على الذهول والغفلة .

قال نجيب : لا سيما قوله تعالى : ﴿ فَنَسِيَهُمْ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ فإنه لا يمكن تفسيره إلا بإهماله تعالى لهم وعدم نظره تعالى إليهم برحمته لأنهم أعرضوا عنه ، وأهملوا آياته فلم يعملوا بها وكذبوا بلقائه فجازاهم عن إعراضهم عن دينه بالإعراض عنهم والاستهانة بدعائهم وهم في النار كالحون .

قال الأب : أصبت يا ولدي وعلى هذا فالنسيان الذي جاء فيه الوعيد يكون في نسيان القرآن الكريم لأننا متعبدون بتلاوته وحفظه والعمل بما جاء فيه ، وفي نسيان العلم الواجب بالإهمال الذي يؤدي إلى الجهل وهذا ما يعبر عنه بالرجوع عن العلم وفي نسيان العمل بإهمال ما يجب وعدم القيام به .

قال نجيب : لم أكن أعتقد أن النسيان تترتب عليه كل هذه الأحكام ويصل بالإنسان إلى هذه النتائج الخطيرة .

قال الأب : لقد وضحت لك إن كلمة النسيان تشتمل على معنيين : أحدهما الذهول والغفلة وقد وردت كلمة النسيان بهذا المعنى في القرآن الكريم كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ [١].

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [٢] ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ [٣]﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [٤].

---

(٤) سورة طه الآيات : ١٢٥ -١٢٦ .

(١) سورة الكهف الآية : ٦١ .

(٢) سورة الكهف الآية : ٢٤ .

(٣) سورة الكهف الآية : ٧٣ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٨٦ .

في آيات كثيرة بهذا والنسيان بهذا المعنى لا إثم فيه ولا مؤاخذة عليه لأنه النسيان الــذي نقــول عنه إنه من طبع البشر والذي لا يخلو منه إنسان وهو لم ينتج عن الإهمال والأعراض والاستهانة .

قــال نجيــب : إن هــذا واضح يا أبي ولكن هل كل النسيان الذي يترتب عن الإهمال يكون معصية ؟

قال الأب : إن الإهمال يا بني صفة مذمومة ولكنه لا يبلغ أن يكون معصية إلا عندما يكون نسيان علم أو عمل واجب وأعتقد أن هذا واضح من أحاديثنا السابقة .

قالــت الأم : لقد شدد أصحابنا في الناسي لقوة الوعيد فيه وحكموا بشرك من نسي نبياً أو ملكا أو رسولاً أو مفروضة منصوصة أو قضية من كتاب الله مخصوصة وكل ما لا يسع جهله ، وشددوا فيمن نسي وليا أو تباعة من الأموال والأنفس و لم يعذروه ، وقــالوا هو راجع عن علمه ، وقالوا إن النسيان إما أن يكون ذهلا أو جهلاً ، أما الذهل فلا بأس به وأما الجهل فهو إلى الجحود أقرب .

قال نجيب : تقصدين بالجهل النسيان الذي يترتب عن الإهمال حتى أصبح صاحبه لا يعرف ما نسيه .

قالت الأم : نعم فإن نسيان الإنسان لشيء حتى أصبح كأنه لم يعرفه جهل عظيم بعد علم وهذا هو المحذور .

قــال نجيب : لقد فهمت الحكم على النسيان الذي يعود إلى الجهل فما الحكم على الجهل .

قــال الأب : الجهل صفة مذمومة يجب على المسلم أن يتخلص منها وقد شدد العلماء في الجاهل كما شددوا في الناسي .

قال نجيب : وكيف ذلك يا أبي ؟

قال الأب : يقول العلماء إن جميع ما يتعلق بالدين ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : مالا يسع جهله طرفه عين .

القسم الثاني : ما يسع جهله .

ثم يقسمون القسم الثاني إلى قسمين :

الأول : مضيق في معرفته .

الثاني : موسع في معرفته .

قال نجيب : هذا فيما يبدو بحث شيق جديد .

قال الأب : إنه ليس جديداً بما تعنيه هذه الكلمة فقد سبق فيه نقاش ولكننا نتناوله من زاوية أخرى .

قال نجيب: حسنا يا أبي فما هي الأشياء التي لا يسع جهلها طرفة عين[1] ؟

قال نجيب: هل هذا فقط ما يجب معرفته والإيمان به مما لا يسع جهله طرفه عين.

قال الأب:لا يسع جهل الجملة التي يدعو إليها رسول الله ﷺ متى قامت بذلك الحجة .

قالت الأم : يقول فيلسوف الإسلام العلامة أبو طاهر الجيطالي : ((أعلم أن العلم المفترض تعلمه على ثلاثة أوجه :

وجه لا يسع الناس جهله طرفه عين ، ووجه يسع جهله إلى الورود ، ووجه يسع جهله أبداً .

فالوجه الأول في معرفة ما لا يسع جهله طرفة عين وذلك ما قدمناه من معرفة الله ﷻ ونفي الأشياء والأمثال عنه .

وأما ما يسع جهله إلى الورود فهي على وجهين : أحدهما ما لا يسع جهله وترك علمه إذا ورد وذلك كمعرفة الله إنه بصير عليم سميع في أمثاله من الأسماء والصفات إذا ورد عليه شيء من صفات الله تعالى أو سئل عنها أو خطرت على باله من غير أن يوردها

---

(١) طرفة عين : قدر إطباق أحد الجفنين على الآخر . وطرف عينيه : حرك جفنيه والطرف : العين ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ .

عليه أحد فلا يسعه إلا أن يصف الله بصفته وينفي عنه صفات خلقه ، وهذا إذا فهم ذلك بلغته أو قامت عليه الحجة أن هذا اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته فعلية أن يعلم الحق في ذلك ويصف الله بصفاته وإن لم يفعل فقد نقض جملة التوحيد التي أقر بها أولاً .

والوجه الآخر : يسع جهله حتى تقوم عليه الحجة ، وذلك كمعرفة نبي من الأنبياء أو ملك من الملائكة أو حرف من كتاب الله تعالى فإذا قامت عليه الحجة بشيء فشك فيه أو أنكره فقد نقض الجملة التي أقر بها أولاً ، وأشرك بالله تعالى ، وعلى السامع أن يبرأ منه إذا قصد إلى ذلك فأنكره .

والوجه الثاني من علوم الدين يسع جهله حتى يأتي وقته وذلك كالفرائض الموسمات[1] الأوقات من الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائرها من جميع الفرائض البدنية والمالية ، يسع جهل جميع ما ذكرناه ما لم يبتل العبد بالعمل فحينئذ يلزم العمل بها وامتثالها والله أعلم .

والوجه الثاني يسع جهله أبداً مثل قسمة المواريث ، وتصريف القصاص في وجوهه وتحريم الربا في معانيه وتحريم الميتة والدم والخنزير وأشباه ذلك من جميع المحرمات وذوات المحارم من النساء من جهة النسب والرضاع وغير ذلك من جميع المعاصي ما خلا الشرك فإنه لا يسع جهله ، وأما غيره من المعاصي وجميع فإنه يسع جهله ما لم يقارف شيئا من ذلك ، وأما ما لا يسعهم في هذا الوجه فهو أحد ثلاثة أشباه : أن لا يتقولوا فيه على الله الكذب ، فيحلوا ما حرم الله منها أو يحرموا ما أحل الله من ذلك ، أو يخطئوا في حكم من أحكامه بالقول ، والثاني أن لا يفارقوا ما حرم الله تعالى من ذلك بالفعل ،

---

(١) الفرائض الموسمات : الفرائض التي حدثت لها أوقات وموسمات أي جعلت لها مواسم تؤدي فيها كالصوم والحج (علي يحيى معمر)

والثالث أن تقوم عليهم الحجة بتحريم شيء من ذلك أو تحليله فيردوها ، فمهما فعلوا شيئا مما ذكرنا منهـــم غير معذورين والله أعلم[٢] .

قال نجيب : هذا عرض رائع يا أماه للموضوع فهل هو من تعبيرك أنت أم أنك حفظته عن ظهر قلب من كتب أبي طاهر .

قالـــت الأم : بـــل هو من تعبير فيلسوف الإسلام أبي طاهر إسماعيل ابن موسى الجيطالي في كتابه ((قواعد الإسلام)) .

قال نجيب : معر العرض الواضح الذي عرضت به الموضوع يا أماه فإنني لا زلت أريد زيادة إيضاح لبعض النقط .

قالت الأم : إن أباك على استعداد دائما لما تريده يا ولدي .

قال نجيب : لقد خطر لي وأنت تشرحين موضوع ما يسع جهله إلى الورود إن هـــنالك فرقا بين ما يتعلق بصفات البارئ عز وجل وبين غيره من معرفة الأنبياء والرسل وما إليه غير أن هذا الفرق لم يتضح لي تمام الاتضاح .

قـــال الأب : إذا ورد على المؤمن شيء يتعلق بصفات الله عز وجل أو بأسمائه سواء أكان ذلك عن طريق السماع أو طريق السؤال أو عن طريق الخاطر الشخصي الذي يخطـــر بـــبال الإنسان فإنه يجب عليه حالا أن يصل إلى الحق في ذلك ويصف الله تبارك وتعالى بما يليق به ، ولا يعذر في التأخير أو الخطأ ، بل أنه لا يشتغل بغير ذلك حتى ينتهي إلى الحـــق الذي يدين به ولو كان في صلاة ، ذلك أنه يستطيع أن يصل إلى الحق بالتفكير العقلي .

قال نجيب : هل تذكر لذلك أمثلة يا أبي ؟

قـــال الأب : قد تكون في حجر منفرداً ليس معك أحد فتظن أنه ليس هناك من يرى ما تعمل أو يسمع ما تقول أو يعرف ما تقوم به .

---

(٢) قواعد الإسلام ١١٤-١١٥ .

قــال نجيــب : هذا يحدث كثيراً فقد أكون منفرداً لا أحد يسمع ما أقول ولا يعرف أو يرى ما أصنع .

قال الأب : ألم يحدث مرة من المرات انك كنت على حالة الإفراد وكنت تقوم بعمل أو قول تكره أن يعرفه الناس عنك ولكنك في ذلك الحين تذكرت الله ؟

قال نجيب : لقد كان ذلك يا أبي .

قــال الأب : فها أنت ترى انه قد خطر لك وأنت منفرد إن الله يسمع ما تقول ويبصر ما تصنع ويعلم ما تقول به من أعمال .

قال نجيب : نعم .

قــال الأب : انه يجب عليك حين خطر لك هذا إن لا تنتقل عن الموضوع حتى تعــرف الحق من هذه الصفات وتصف بها البارئ سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وتؤمن أنه سميع بصير عليم وان سمعه وبصره وعلمه لا يشبه سمع ولا بصر ولا علم المخلوقات ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قال نجيب : يعني أن يعتمد الإنسان على العقل في مثل هذه المواضيع حتى ولو لم تقم عليه الحجة بطريق السمع .

قــال الأب : إن الحجــة قامت عليه حين أثير الموضوع الذي يتعلق بصفة من صــفات الله أو باسم من أسمائه ، سواء أثير هذا الموضوع عن طريق السمع أو عن طريق الفكر ولا يحق للمؤمن بعد قيام هذه الحجة أن يبقى جاهلاً بتوحيد الله في صفاته أو أسمائه أو أفعاله .

قال نجيب : لقد فهمت هذا جيداً يا أبي .

قال الأب : بقية ما يسع جهله إلى حين الورود لا تقوم فيها الحجة إلا بالسماع وحــين يرد الخبر على المكلف وتقوم عليه الحجة فعليه أن يعمل وأن يجد في الطلب حتى يتحصل على العلم المطلوب .

قال نجيب : لا يزال في هذه النقطة غموض لم ينكشف لي يا أبي .

قال الأب : قد يسمع المكلف باسم نبي أو ملك أو فريضة من الفرائض لم يسبق له العلم بها فماذا ترى يجب عليه في هذا الخبر الجديد ؟

قال نجيب : بعد تفكير طويل : يصدق به .

قال الأب : إذا كان المصدر الذي استقى منه الخبر يوجب التصديق وجب عليه ذلـــك ، ولكن المصدر قد يوجب التصديق وبناء على ذلك فيجب عليه أن يبحث حتى يتحقق ويعلم عن طريق السماع لأن العقل في هذه المواضيع لا يستطيع معرفة الحقيقة .

قال نجيب : يعني إن ما يسع جهله إلى حين الورود ينقسم إلى قسمين : ما يتعلق بـــالله سبحانه وتعالى وهذا القسم يجب أن ينتهي فيه المكلف إلى الحق حين وروده مهما كان طريق الورود .

أمـــا القســـم الثاني وهو ما بغير الله من مواضيع التوحيد فإن هذا القسم يجب البحث فيه للوصول إلى العلم على أن لا يؤدي ذلك البحث إلى تضيع أو نقض ما تشتمل عليه كلمة الشهادة التي أقر بها المكلف من قبل .

قالت الأم : لقد ترددت كلمة الحجة بالسماع فما معنى ذلك ؟

قال الأب : إن الحجة السمعية إنما تكون عن طريق كتاب الله عز وجل أو عن ســـنة رســـول الله ﷺ أو عن إجماع المسلمين ويزيد بعضهم الرأي أو القياس ولكن هذا الأخير لا يكون حجة سمعية منفردة لأنه ينبني على بعض المصادر السابقة .

قـــال نجيـــب : هل يمكن أن نعود إلى مناقشة بعض النقط السابقة في أول هذا السمر .

قال الأب : لا مانع من ذلك يا بني .

قال نجيب : لقد قلت يا أبي ما يســـع جهله من أحكام الدين ينقسم قسمين : مضيق وموسع .

قال الأب : هذا صحيح يا ولدي .

قال نجيب : ما معنى مضيق ؟

قال الأب : إن مسائل التوحيد التي تجيب بقيام الحجة تدخل في هذا الباب وكذلك الفرائض التي خصصت لها أوقات يكون العلم بها وبكيفيتها مضيقا عند حلول تلك الأوقات .

قال نجيب : أود أن تزيدني إيضاحا وتضرب لي أمثلة يا أبي .

قال الأب : إن جميع ما يتعلق بالدين إما أن يكون عقائد في القلب أو أقوالا باللسان ، أو عملاً بالجوارح ، أو اجتناباً .

قال نجيب : اعتقد أنه ليس هنالك وجه آخر .

قال الأب : أما فيما يتعلق بالعقائد فإن الحكم فيها دائما مضيق بعد قيام الحجة وكذلك القول .

قال نجيب : يعني الإيمان بجملة التوحيد وما اشتملت عليه والإقرار بذلك .

قال الأب : هو ذلك .

قال نجيب : فما هي الأعمال ؟

قال الأب : إن الله قد فرض على العبد فرائض وخصص لها أوقاتا .

قال نجيب : تعني مثل الصلاة والصوم والزكاة .

قال الأب : نعم فنحن مثلا في وسط الليل ولا تجب علينا الآن صلاة ولا العلم بها وبكيفيتها حتى يصل الفجر وعند حلول الفجر يصبح العلم ولا العلم بها مضيقاً علينا فيجب علينا أن نتعلم أن الله فرض علينا نوعاً من الصلاة ويجب أن نعرف كيفية أدائها وإن الله يثيب على فعلها ويعاقب على تركها .

قال نجيب : هذا واضح ولكن زد لي أمثلة .

قال الأب : إن الفقير الذي لا يملك شيئا ليس عليه أن يعرف الزكاة وأحكامها ولكنه عندما يملك النصاب ويحول عليه الحول فإنه يصبح الحكم عليه مضيفاً يعني أنه يجب عليه أن يعرف أحكام الزكاة ليؤديها .

قـــال نجيب : يعني إن الفرائض التي خصصت لها أوقات يسع جهلها قبل حلول أوقاها فإذا حلت أوقاها أصبح العلم بها مضيقاً أي أن يعرفها المكلف ليقوم بأدائها .

قال الأب : هو ذلك يا بني .

قال الأب : إن الله قد حرم أشياء وأمر بتركها سواء كانت قولاً أو فعلا وهذه الأشياء لا يجب على المكلف العالم بها إلا عند الابتلاء .

قالت الأم : ما عدا معرفة الشرك فإن من لم يعرف ما يؤدي إلى الشرك لا يعرف التوحيد .

قال الأب : صدقت أمك يا نجيب .

قال نجيب : قلت عند الابتلاء فما معنى الابتلاء يا أبي ؟

قـــال الأب : هب انك دخلت مقهى فوجدت قوما يشربون شرابا لا تعرفه ولا تعرف الحكم عليه فعرض عليك أحدهم أن تشرب معهم فما هو موقفك منهم ؟

قال نجيب : إن كانوا من معارفي وأصدقائي أشاركهم وإلا فإني اعتذر .

قـــال الأب : فهذا معنى الابتلاء انك كنت غير مطالب بمعرفة هذا الشراب والحكم فيه ولكـــنه لما عرض عليك وجب أن تعرفه وتعرف الحكم فيه لئلا ترتكب معصية بشراب محـــرم فإن كان هؤلاء الناس الذين عرضوا عليك مشاركتهم عدولاً ثقاة وأعلموك عن الشـــراب وأنه طيب حلال فإنه يجوز لك أن تشاركهم وإذا أخبروك أنه من النوع المحرم وجـــب عليك الابتعاد عنه وإذا كان القوم في ولايتك ومن أهل الوفاء عندك ووجدهم يشربون فاعتمدت على ذلك وشربت معهم فلا إثم عليك .

قالـــت الأم : أما إذا لم يكونوا من أهل الولاية أو ليسوا معروفين عندك فإنه لا يحق لك أن تشاركهم الشراب حتى تعرفه وتعرف الحكم فيه .

قال الأب : صدقت أمك يا نجيب وهذا الحكم يجري عليك في جميع الأشياء .

قال نجيب : لقد فهمت هذا أيضا فهماً جيداً والحمد الله .

قال الأب : ومن هذا المثال تعرف أنه لا يجب عليك شيء في معرفة المحرمات إلا إذا هيئت لك ظروف مقارفتها بالقول أو بالعمل .

قال نجيب : ما معنى المقارفة يا أبي ؟

قال الأب : مقارفتها أي إتيانها أو تولي من يأتيها .

قالت الأم : لقد أحلت سمرنا إلى دروس في الفقه يا أبا نجيب .

قال الأب : إنني أريد أن أضع صوراً واضحة من الإسلام أمام أنظار نجيب .

قـــال نجيب : إن أثر هذه الدروس في نفسي أعظم من جميع الدروس التي تلقيتها في المدرســـة ، أرجو الله تعالى أو يوفقني إلى ما يحبه ويرضاه ويقويني على أداء حقكما ، فقال الأبوان في صوت واحد : آمين .

قـــام نجيـــب فـــألقى تحية المساء على أبويه وانصرف وهو يدير في ذهنه بعض الأحاديث السابقة .

الليلة العاشرة

- كبائر الشرك وكبائر النفاق .
- الطاعة والمعصية .
- المن والدلائل .
- الخوف والرجاء .

الليلة العاشرة

اجتمعت الأسرة بعد صلاة العشاء كما اعتادت أن تجتمع كل ليلة ، وأحضرت الأم الشـــاي لتصنعه على الطريقة الليبية ، وبدأ الأب السمر فقال : كأنك يا أم نجيب اخترت أن تصنعي لنا الشاي على الطريقة الليبية هذه الليلة أيضا ، فهل أصبحت تفضلين شربه على هذه الطريقة مع ما في صناعته عليك من مشقة وتعب وانشغال لمدة طويلة .

قالـــت الأم : إني لســـت مغرمة بشرب الشاي لا على هذه الطريقة ولا على غيرهـــا، وإنما فضلت أن أصنعه على هذه الطريقة لأنها تتيح للمتسامرين راحة في فترات مـــتعددة فأنا عندما أحس أن الجهد قد أخذ منكما ، وأن النقاش طال بكما وأخشى أن يحســـن أحدكما أو كلاكما منكما ، وإن الفتور أفرغ لكما الشاي وبذلك تجدان وسيلة للاستراحة والانسجام والتفكير الهادي .

قال نجيب : أن أمي تقف أنبل موقف عليه الحب والحنان فهي تسهر على راحتنا وتتيح في فرصة النشاط ولا تغفل لحظة واحدة عن التفكير فينا وفيمـــا يسعدن .

قال الأب : إني أعرف رأيك في أمك يا نجيب فلا داعي لأن تسهب في مدحها وتسترسل في إطرائها .

قالت الأم : وهي تبتسم : هل نويتما أن تجعلاني موضوع سمر الليلة .

قال نجيب : بل إنني أطلب منك الليلة أن تفتحي لنا موضوع السمر .

قالت الأم : لبيك يا ولدي الحبيب ! ثم التفتت إلى زوجها وقالت : لقد كانت أسمارنـــا الســـابقة كلها في التوحيد وما يتعلق به وفي الشرك وما يلحق به فهل لك يا أبا نجيب أن تذكر لنا بعض الفوارق بين كبائر الشرك وكبائر النفاق .

قال نجيب : إني أود أن أتأكد من معرفة معنى الكبائر والصغائر أولاً يا أماه ؟

قال الأب : لقد سبق في بعض أسمارنا أن تحدثنا عن المعاصي وقلنا إن الكبيرة هي المعصية التي أوعد الله عليها النكال في الدنيا والعذاب في الآخرة أما الصغيرة فهي السيئة التي وعد الله أن يغفرها باجتناب الكبائر وبفعل الحسنات .

قالت الأم : قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ *وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ* ﴾ (١).

وقال تعالى ﴿ *لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى * الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ* ﴾ (٢).

قال نجيب : فما الفرق بين كبائر الشرك وكبائر النفاق ؟

قال الأب : أن التفريق بين كبائر الشرك وكبائر النفاق واجب ، وكثير من العلماء يحكمون بشرك من لم يفرق بينهما ، وبعدم التفريق بينهما ضل كثير من الناس كالخوارج الذين يحكمون بشرك من يرتكب المعصية وهو مقر بالتوحيد .

قال نجيب : يبدو أن هذا الموضوع خطير جداً بالنسبة للمسلم .

قال الأب : نعم إنه خطير جداً وليس أكبر من أن تحكم على مسلم بالشرك فتخرجه من دين الإسلام وهو يؤمن بالله ورسوله .

قال نجيب : إذن فأرجو أن تعجل يا أبي بإيضاح الفوارق بينهما ؟

قال الأب : يقول العلماء في تعريف كبائر الشرك ما يأتي : من رد على الله ﷻ في كتابه الكريم مواجهة بلا تأويل فهو مكذب بالله مشرك به ، ويدخل في ذلك التكذيب بكل ما تجب معرفته من أمور التوحيد ، وكذلك الاستحلال لما حرمه الله تعالى استحلال ترك الفرائض التي أوجبها الله سبحانه وتعالى على الناس ، وتحريم ما أحل الله نصاً في كتابه الكريم .

---

(١) سورة هود الآية : ١١٤ .

(٢) سورة النجم الآيات : ٣١ -٣٢ .

قالت الأم : يقول أبو طاهر الجيطالي : " **فكل من أنكر وجها من وجوه التوحيد أو جهله ، أو استحل تركه ، أو جهل الشرك أو فعله أو استحل فعله أو أمر به ، أو تقرب بفعل معصية منصوصة إلى الله تعالى ، أو استحل فعلها ، أو أنكر فريضة منصوصة ، أو ملكا أو نبياً منصوصاً ، أو حرم حلالاً منصوصاً فهو مشرك ، لأن كل ذلك رد لحكام كتاب الله ورد ما ورد به القرآن أو تكذيبه شرك والعياذ بالله))** [1].

قال نجيب : لقد أوضح أو طاهر هذا الجانب فما هو الضابط لكبائر النفاق ؟

قال الأب : كبائر النفاق على وجهين [2].

قال نجيب : فما هو الوجه الأول ؟

قال الأب : هو استحلال ما حرم الله بتأويل الخطأ من فاعله أو قائله .

قال نجيب : يعني بأن من أستحل ما حرم الله لأنه أخطأ في الفهم فأول النص تأويلاً غير صحيح وليس بمشرك .

قال الأب : هو ذلك يا بني لأنه استند في خطئه على دليل حسب زعمه .

قال نجيب : والوجه الثاني يا أبي ؟

قال الأب : الأمثلة على ذلك كثيرة فإن جميع ما حرمه الله يدخل في هذا الباب، كالقتل والزنا وبخس المكيال واليمين الغموس [1]، وشرب الخمر وترك الفرائض وعقوق الوالدين .

قالت الأم : أن أحسن مثال لذلك قوله ﷺ وآله ((**اجتنبوا الكبائر السبع الموبقات تنجوا : الشرك بالله ، والقتل ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل أموال الناس ظلماً ، والفرار من الزحف ، وعقوق الوالدين**))[2] .

---

(١) قواعد الإسلام ٣٨.

(٢) قواعد الإسلام ٣٨-٣٩ .

(١) اليمين الغموس هي التي تغمس صاحبها في الإثم .

(٢) رواه البخاري في باب الوصايا ومسلم في باب الإيمان.

قال الأب : صدق رسول الله ﷺ .

قـــال نجيـــب : إن بعض الكبائر التي ذكرتها يا أبي غير موجودة في هذا الحديث الذي روته أمي .

قـــال الأب:أن الحديث لم يقصد به حصر الكبائر يا ولدي ولكنها كما قال ﷺ الموبقـــات أي المهلكات وهذه جملة منها وذكرت لك جملة أخرى وبقي الكثير تعرفه من دراســاتك للقـــرآن الكـــريم والســـنة النبوية وكتب أعلام الإسلام من مختلف العصور والمذاهب.

قال نجيب : وهل يجب على المؤمن أن يعرف جميع الكبائر بجزئياتها .

قـــال الأب : يجب على المكلف أن يعرف أن الله أمره بطاعته وأوجب له على ذلك الثواب العظيم ونهاه عن معصيته وأوجب له على ذلك العقاب العظيم .

قالـــت الأم : تستطيع يا بني أن ترجع بتطبيق الأحكام على الجزئيات بما تحدثنا عليه مما يسع جهله وما لا يسع جهله وعن التكليف المضيق والتكليف الموسع .

قـــال نجيب : إذن على المكلف أن يعرف في أول البلوغ : أن الله أمره بالطاعة وهي تعني التوحيد والقيام بالفرائض والسنن وأنه أوجب له على ذلك الثواب الجزيل وهو الجـــنة ونهـــاه عـــن ارتكـــاب المعاصي من الشرك وما يؤدي إليه ، واجتناب المحرمات والمكروهات وأوجب له على ارتكاب شيء من ذلك العذاب الأليم بالنار .

قال الأب : لقد استطعت أن تلخص الموضوع تلخيصا جيدا يا بني .

قال نجيب : الحمد الله على نعمة التوفيق .

قالت الأم : إن نعم الله على العبد لا تحصى .

قـــال الأب : ولذلك كان من الواجب على المكلف عند البلوغ أن يعرف المن والدلائل .

قال نجيب : ما معنى المن يا أبي ؟

قال الأب: المن هو ما من الله به على عباده في الدنيا والآخرة من نعم لا تحصى.

قالت الأم : قال أبو العباس الشماخي : " ومما يجب علينا مع البلوغ معرفة أن الله مـن علينا بالنعم وهي عبارة عن المنفعة التي أوصلها الله إلينا على جهة الإحسان ، ونعمه علينا لا تحصى ، كخلق البدن وقواه وإشراقه بالروح والعقل والفهم والفكر والإيمان والعلم والتوفيق إلى المذاهب الحسنة وجميع الملاذ من الملابس والمأكل والمناكح وغيرها . والنعمة العظمى الجنة وهي خاصة بالمسلمين [1].

قال الأب : أما أبو سليمان التلاتي [1]فيقول في شرح المن : ((والمن الفضل وهو على قسمين : من عام ، ومن خاص ، فالمن العام هو صحة الأبدان وسعة الأرزاق ، والمن الخاص هو ما أمتن الله على عباده المؤمنين من دخول الجنة)) [2].

قال نجيب : إن شرح العلامة الشماخي أوسع وأشمل لأنه أشار إلى نعمة العقل والإيمان وإشراقة الروح وهي من أجل ما أنعم الله به على عباده .

قال الأب : نعم لقد كان الشماخي يكتب للخواص أما التلاتي فقد كان يكتب لأهل الجملة .

قال نجيب : فما معنى الدلائل يا أبي ؟

---

(١) مقدمة التوحيد ٥٧ .

(١) أبو سليمان داود التلاتي (٩٦٧/١٥٦٠) ، درس بنفوسة ، ثم رجع إلى جربة فحلق على أبي القاسم السدويكشي وابن يحيى الهواري ، وعاد إلى نفوسة حيث لازم أبا يوسف التندميرتي ليأخذ عنه أكثر علمه، ودرس المنطق والبيان على يد إبراهيم بن الأحباس ، والتحق بأبي نهدي عيسى بمليكة في وادي ميزاب. وأخيرا رجع إلى جربة ودرّس في مسجد القصبين ، ثم انتخب رئيسا لمجلس العزابة ، حتى ناداه الله لجواره وهو حديث السن ، له عدة مؤلفات منها :

أ- شرح الأجرومية في النحو .

ب- شرح عقيدة التوحيد .

ج – شرح متن الساغوجي في المنطق ، مقرر بجامع الزيتونة بتونس .

(٢) شرح عقيدة التوحيد .

قال الأب : هو جميع ما نصبه الله دليلاً على وجوده ووحدانية تعالى كنظام الكون وما فيه من العجائب وكالأنبياء والرسل والكتب وما إلى ذلك .

قالت الأم : يقول أبو العباس الشماخي في شرح معنى الدلائل : " **والدلائل : جميع ما نصبه الله تعالى دليلاً ومرشداً إلى معرفته وإفراده وتوحيده كالكتب والسماوات وما فيها والأرض وما فيها والإنسان بل وسائر الحيوان وما فيه من العجائب وما أشبه هذا من البيانات الشافية والدلائل الواضحة على معرفته** "(١) .

قال نجيب : إذن فعلى المكلف أن يعرف حال البلوغ ، النعم الكثيرة التي أسبغها الله عليه في الدنيا وما ينتظره في الآخرة من نعيم مقيم إن هو أطاع الله واتقاه ، وان يعرف ما بثه في الكون وما أرسله مع رسله ، وما أنزله في كتبه مما يدل على وجوده ووحدانيته وربوبيته للخلق جميعاً .

قال الأب : إنك لخصت هذا الموضوع تلخيصاً جيداً يا نجيب .

قال نجيب : إنني أرجو من المولى سبحانه وتعالى أن يوفقني إلى فهم دينه والعمل به ، وان يتقبل عملي ، وان يغفر لي أخطائي .

قال الأب : أن دعاءك يشتمل على الرجاء في رحمة الله أفلا تخاف أن لا يقبل الله دعاءك ؟

قال نجيب: إنني أخاف الله ولكن رجائي فيه قوي أن يتغمدني بالرحمة والغفران.

قالت الأم : قال رسول الله ﷺ : ((**لو وزن خوف المسلم ورجاؤه بميزان تريص ما زاد أحدهما على الآخر**))(٢).

قال نجيب: ما معنى تريص يا أماه ؟

قالت الأم: تريص معناه محكم وميزان تريص أي محكم لا خطأ فيه.

---

(١) مقدمة التوحيد ٥٧ .

(٢) لم نعثر عليه في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث .

قال نجيب : فعلى ماذا يدل الحديث النبوي الشريف ؟

قالــت الأم : يحسن أن يتولى أبوك شرح الحديث لك وأن يوضح لك القاعدة الهامة التي تدل عليها ريثما أصب لكما الشاي .

قــال الأب : إن المكلف عند البلوغ يا بني إذا اختار الإسلام كما اخترت أنت وعمــل بموجــب الشرع وما تقتضيه حكمته وأحكامه فإن قلبه يمتلئ أملاً في رحمة الله ورجــاء أن يكون من عباد الله وأحكامه فإن قلبه يمتلئ أملاً في رحمة مقبولة ، وحسناته مضاعفة ، وذنوبه مغفورة .

قــال نجيب : هذه هي الحال الغالبة على المسلمين يا أبي فما يوجد مسلم فيما أظن يضعف رجاؤه في الله .

قال الأب : هنا يكن خطر شديد على المؤمن يا ولدي .

قال نجيب : وكيف ذلك يا أبي ؟

قال الأب : إذا ظن الإنسان أنه قام بما أوجبه الله عليه أحسن قيام وأدى ما عليه مــن الفرائض واجتنب ما نهى عنه من المعاصي غلب عليه الرجاء في رحمة الله والأمن من مكر الله وعذابه وخدعه الشيطان من هذا الجانب فملأ قلبه غروراً .

قال نجيب : إذن فكيف يكون موقف المسلم الموفي بدين الله الحريص على طاعته وتقاه ، ألا يغلب عليه الرجاء في رحمة الله ؟

قال الأب : أن المؤمن يجب أن يعمل وإتيانه بالعمل حسب ما علم لا يضمن له القبول فمن يدريه أن عمله كان صحيحا وان الله جل وعلا قد قبله منه وغفر له .

قــال نجيــب : إن على الإنسان أن يعمل حسبما علم من دين الله ، أما القبول وعدمه فهذا شيء بيد الله تعالى .

قال الأب : لقد قربت من الجواب الصحيح يا بني .

قال نجيب : وكيف ذلك يا أبي ؟

قـال الأب : إن الإنسان حين يعمل كأحسن ما يعلم لا يستطيع أن يعرف إذا كان عمله مقبولا عند الله أو أنه مردود عليه .

قـال نجيـب : إن هـذا من الغيب الذي استأثر الله بعمله فهو لا يعرف ذلك بالتأكيد .

قال الأب: فهو إذن يخاف أن يكون عمله ذلك مردودا عليه غير مقبول عند الله.

قال نجيب : نعم إن قلبه لا يخلو من الخوف .

قـال الأب : يعـني أن قلب المؤمن بين حالتين رجاء في الله أن يشمله بالرحمة والمغفرة والقبول ، وخوف من الله أن يتولاه بالمقت والغضب والعذاب .

قـال نجيب : يعني أن المؤمن يجب أن يكون في آن واحد راجيا ثواب الله خائفاً من عقابه .

قـال الأب : ويجـب أن يكون هذا الرجاء ، وهذا الخوف متساويان لا يغلب أحدهمـا على الأخر ، فإنه إن غلب عليه الرجاء أمن عذاب الله ، وإن غلب عليه الخوف أيس من رحمة الله وكلا الموقفين يجلب سخط الله .

قال نجيب : وهذا ما دل عليه الحديث الذي روته أمي آنفاً .

قـال الأب : وبالإضـافة إلى ذلـك فإن الرجاء داع إلى الطاعة مرغب فيها ، وباعث عليها ، وإن الخوف زاجر عن المعصية ، رادع عنها منفر منها .

قالت الأم : وهذا يعني إن الإنسان مهما عمل من طاعة وبر وإحسان فيجب أن يكـون قلبه مفعماً بخشية الله وخوف عذابه ، وان المنافق مهما ارتكب من آثام يجب أن يكون قلبه عامراً بالرجاء في الله أن يتولاه بالهداية والتوفيق ويغفر له ما قدم من آثام وذلك إذا هداه إلى التوبة والإنابة .

قال نجيب : هل تذكرين لنا أدلة على هذا من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ يا أماه ؟

قالت الأم : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١) وقال ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) وقال : ﴿ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣).

قال الأب : يعني أن تغلب الرجاء يؤدي إلى الأمن من عذاب الله ، وان تغلب الخوف يؤدي إلى البأس من رحمة الله .

قالت الأم : وان الإنسان الذي يأمن عذاب الله كالإنسان الذي ييأس من رحمة الله كلاهما كافر بنعمة الله ، جاحد لفضله .

قال نجيب : ولكن يبدوا يا أبي أن الرجاء لا يغلب إلا على الصالحين وذلك لثقتهم في الله ، وان اليأس لا يغلب إلا على المنافقين وذلك لما فرطوا في جنب الله وهذا موقف طبيعي في رأيي الضعيف .

قال الأب : هذا مزلق يزلق ، فيه كثير من الناس وهو أحد الأبواب التي يدخل منها إبليس إلى قلب أبن آدم حتى يفسده عليه .

قال نجيب : وكيف ذلك يا أبي ؟

قال الأب : لا يزال الشيطان يوسوس للإنسان الحريص على الطاعة بأنه وفَّى بدين الله وان مثله حقيق برحمة الله وان رجاءه عنده مقبول وانه لم يعص الله كما يفعل غيره من الناس حتى يتأثر بذلك ويستمع إلى هذا الصوت في قلبه فيظن أنه جدير بالثواب وأن رجاءه عند الله لا يخيب وهذه منزلة لا ينحدر إليها المؤمن الخالص الإيمان ، وقال ﷺ **((لن يدخل أحدا الجنة بعمله " قيل : حتى أنت يا رسول الله ؟ قال : " حتى أنا إلا أن**

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٩٩ .

(٢) سورة الزمر الآية : ٥٣ .

(٣) سورة يوسف الآية : ٨٧ .

يـــتغمدني الله برحمـــته)) [1] أو كما قال رسول الله ﷺ . فها قلب رسول الله ﷺ وقد اختاره الله هاديا ومبلغاً عامر بالخوف والرجاء .

قال نجيب : هذا مفهوم في الرجاء فكيف في الخوف ؟

قال الأب : إن الإنسان المتمادي في المعاصي يسر الشيطان ويفرح به وكلما أصر الإنســـان على المعصية كلما فرح الشيطان ، وان الشيطان ليخشى أن تعرو الإنسان نوبة يذكر فيها ربه ويراجع التوبة فيخسر الصفقة ولذلك فلا يزال يوسوس له ليقطع عنه خط الـــرحمة كما يقال ، ويزعم أنه ارتكب من المعاصي ما لا تشمله المغفرة ولذلك فلا فائدة من التوبة .

ويحســـن أن يتمتع الإنسان في دنياه بأكثر ما يمكن له ما دام قد حرم نعم الآخرة وهـــي شبهة تغلب على ذوي العقول الضعيفة فيظنها حقاً ويتمادى في المعصية لأنه أيس مـــن رحمة الله حاسبا أن الله لا يغفر الذنوب الكثيرة وقد نبهنا الله إلى ذلك في كثير من آياتـــه البينات وبين لنا أنه يغفر الذنوب جميعاً وانه يقبل من التائبين إذا خلصوا له التوبة وأنابوا إليه .

قالت الأم : إن رحمة الله وسعت كل شيء وعلى ابن آدم أن لا يستكثر عبادته ولا أن يستكثر ذنوبه استكثارا يبعده من رحمة الله ، فإن رحمة الله قريب من المحسنين وان التائـــبين مـــن ذنوبهم مهما كانت كبيرة وكثيرة هم محسنون هذا إذا كانت توبتهم توبة نصوحاً ، ثم مدت إلى زوجها كوباً من الشاي وهي تقول له :

ما رأيك يا أبا نجيب لو عدت فلخصت لنا مواضيع أسمارنا السابقة حتى يستطيع نجيب أن يتذكرها تذكراً كاملا .

---

(١) رواه البخاري ومسلم في المنافقين وباب التوبة وغيرهما .

قـــال الأب : بل يحسن أن توجهي هذا الاقتراح إلى نجيب أيتها الزوجة الصالحة فـــيقوم بتلخيص ما تناولناه في أسمارنا وإذا بقيت نقطة لم يفهمها جيداً استطعنا أن نعيد فيها الحديث من جديد .

قال نجيب : يسرني يا أبي أن أقوم بهذا التلخيص فهل تريدني أن أبدأ الحديث منذ عيد الميلاد ؟

قال الأب وهو يبتسم : إذا كنت ستجدد طلب إعادة الحفلة فابدأ من بعده .

فقال نجيب : إني سأذكر الليالي ليلة ليلة وسألخص ما تحدثنا فيه كل ليلة بما يمكن من الإيجاز .

قال الأب : يكفي أن تذكر رؤوس المواضيع .

قالـــت الأم : يـــبدوا أنك كنت تلخص كل ليلة ما يدور بيننا من نقاش وأنك كنت تراجع ما تكتبه .

قـــال نجيب:نعم يا أماه فقد اشتريت لي مذكرة وطلبت أن أسجل فيها كل يوم جمـــيع أعمـــالي وأي شـــيء أفضل من هذه الدروس القيمة التي أخذتها منكما في هذا الأسبوع.

قالـــت الأم : فأنا أرى أن نؤجل الحديث عن المواضيع السابقة إلى بعض الليالي القادمـــة حين ننتهي من أحاديثنا عن مواضيع التوحيد وعندئذ نستمع إلى تلخيصك حتى نطمئن إلى انك فهمت هذه الحقائق فهماً صحيحاً .

قال الأب : إن رأي أمك وجيه يا ولدي .

قال نجيب : إني عندما تحبان يا أبوي الكريمين ثم قام فألقى عليهما تحية المساء .

الليلة الحادية عشر

- الإيمان والإسلام والدين والتوحيد .
- أسهم الإسلام .
- مصادر التشريع الإسلامي .
- أسس الإسلام .
- قواعد الإسلام .
- أركان الإسلام .
- ما يتميز به الدين .
- حرز الدين .
- حدود الدين .
- أسس الفكر .
- أركان الفكر .

الليلة الحادية عشر

تلاحق أفراد الأسرة إلى حجرة الاجتماع وقد أخذت الزوجة موقد الشاي وحمل معها نجيب الإبريق وأواني الماء ، فلما دخل بها قال الأب وهو يبتسم : يبدو انك تنوي أن تكون مساعداً لأمك في صناعة الشاي يا نجيب .

قال نجيب : إن إعداد الشاي أمر يسير يا أبي ولقد طلبت من أمي عدة مرات أن تسمح لي بإعداده بدلا منها ولكنها لا تسمح لي بذلك لأنها تؤثرني على نفسها وتريد مني أن أستفيد من جميع لحظات وقتي وان لا يصرفني عن حديثكما الممتع شيء وهذا كما ترى تضحية كبرى براحتها من أجلي .

قال الأب : أن الأبوين عندما يقومان بأي عمل من أجل أبنائهما لا يسحبان عملهما ذلك تضحية وإنما يحسبانه واجبا أما الأبناء فهم يحسبون ما يقدمونه من مساعدة لآبائهم براً بهم وإحسانا لهم وتضحية من أجلهم .

قال نجيب : ليس كل الأبناء هكذا يا أبي فإن منهم من يرى انه لا يستطيع مهما بذل من جهد أن يقوم بجزء من واجبه في حقوق أبويه .

قالت الأم : أولئك هم الأبناء البررة يا ولدي أدام الله لنا فيك البر والوفاء ، وأرانا منك وفيك ما يسرنا ويبهج خواطرنا .

قال الأب : الحق أننا لم نر ما يسوءنا من نجيب إلى حد الآن ، ونرجو أن يدوم على خلقه السمح ودينه القويم .

قال نجيب : إن أعجبكما منه شيء فذلك من فضل البيت الذي ربي فيه والأبوين اللذين اقتبس منهما أخلاقه .

قالت الأم : وهل يطلب أي والدين من أبنائهما غير أن يقتبسوا منهما الأخلاق ويستمعوا إلى النصائح .

قال الأب : هذا حق فإن الإقتداء والطاعة هو كل ما يطلبه الأبوان من أبنائهما وقد وجدنا ذلك في نجيب والحمد الله .

قال نجيب : هل نويتما يا والدي العزيزين أن تجعلاني موضوع سمر الليلة ؟

قال الأب : لا يا والدي ولكن سأترك لك اليوم أن تقترح موضوع السمر وتبدأ فيه الحديث .

التفت نجيب إلى أمه وقال : وهل أنت موافقة على اقتراح أبي يا أماه ؟

قالت الأم : نعم يا ولدي إنني موافقة وأرجو أن تبدأ الحديث .

قال نجيب : كثيراً ما ترددت في أسمارنا السابقة كلمات : الإيمان ، الإسلام ، الدين ، والتوحيد ، فهل هذه كلمات مترادفة تدل على معنى واحد أم إن كل كلمة منها تدل على معنى غير المعنى الذي تدل عليه الأخرى .

قال الأب : إن لهذه الكلمات معاني لغوية ولها معاني شرعية ، أما معانيها اللغوية فمختلفة وأما معانيها الشرعية فمتفقة .

قال نجيب : فما هي معانيها اللغوية يا أبي ؟

قال الأب : الإيمان معناه التصديق ، والإسلام معناه الانقياد والخضوع ، والدين معناه الطاعة ، والتوحيد معناه الإفراد .

قال نجيب : فما هي معانيها الشرعية ؟

قال الأب:إذا قلنا هذا الرجل مؤمن بالله فنعني أنه مصدق بوجود الله ووحدانيته واتصافه بجميع الكمالات والتصديق بذلك يقتضي الخضوع والانقياد والطاعة.

قال نجيب : نعم هذا صحيح .

قال الأب : ألا ترى إن كلمة الإيمان تدل على جميع المعاني التي تدل عليها كلمات الإسلام والدين والتوحيد .

قال نجيب : هذا مفهوم ولكننا إذا قلنا هذا رجل مسلم ؟

قــال الأب : إذا قلنا هذا رجل مسلم فنعني أنه ممتثل لأمر الله خاضع ومنقاد له ولا يكون كذلك إلا إذا كان مصدقا ومقرا بوجود الله واتصافه بجميع الكمالات ومطيعاً له في جميع الأوامر والمناهي .

قال نجيب : هذا أيضا صحيح فإذا قلنا هذا رجل متدين ؟

قال الأب : إذا قلنا هذا رجل متدين فنعني أنه مطيع ولا يكون الرجل مطيعا لله إذا كــان مصدقا به منقاداً له وهذا أيضاً يشمل جميع المعاني التي تشتمل عليها الكلمات الأخرى .

قال نجيب : وهذا أيضا واضح ولكن إذا قلنا هذا رجل موحد ؟

قــال الأب:إن الكلمات السابقة تكاد تكون مترادفة ولا تلحظ فيها الفروق إلا في المباحــث الدقيقة من علم الكلام ، أما الكلمة موحد فهي تدل على التصديق والإقرار ولكنها لا تدل على الانقياد والطاعة ولذلك فكلمة موحد لا ترادف كلمة مسلم ومؤمن.

قــال نجيب : هذا أيضاً واضح يا أبي ثم التفت إلى أمه وقال : هل تذكرين لنا يا أماه بعض الشواهد من حفظك على هذه المباحث الشيقة .

قالت الأم : وأي شواهد أنسب من قوله تعالى : ﴿ *وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ* ﴾ [(١)] وقوله تعالى ﴿ *إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ* ﴾ [(٢)] وقوله تعالى ﴿ *إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ* ﴾ [(١)] وقوله تعالى : ﴿ *الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا* ﴾ [(٢)] وقوله

---

(١) سورة البينة الآية : ٥ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٩ .

(١) سورة الزمر الآيات : ٢-٣ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٣ .

تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [٣] وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [٤] وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [٥] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [٦] وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [٧] والآيات الواردة في هذا المعنى كثيرة جدا في كتاب الله .

قال نجيب : إن الآيات السابقة تدل تمام الدلالة على أن كلمات الإيمان والإسلام والدين تدل على معنى واحد .

قال الأب : الحقيقة إن الإيمان الصحيح الذي هو تصديق بالله وبمحمد وبما جاء بـه محمد أنه حق عند الله وإن كان من أعمال القلب إلا أنه يقتضي الاستسلام والانقياد والرضا بأحكام الله والانقياد والرضا يقتضي الطاعة .

قالت الأم : كما أن الاستسلام والانقياد والطاعة لا تكون إلا بعد التصديق والإيمان ، فهذه المعاني وإن كانت من أعمال الجوارح إلا أنها ترتبط بعقيدة القلب أوثق رباط.

قال نجيب : وهكذا نفهم أن ما تعنيه كلمة المسلمين هو ما تعنيه كلمة المؤمنين وان الدين هو ما يجب أن يعتقده هؤلاء ويعملوا به ، أما غير ذلك مما يسميه الناس أدياناً ويتبعونها فهي ليست بأديان .

---

(٣) سورة آل عمران الآية : ٨٥ .

(٤) سورة آل عمران الآية : ١٠٢ .

(٥) سورة المائدة الآية : ١١١ .

(٦) سورة يونس الآية : ٨٤ .

(٧) سورة الأحزاب الآية : ٢٢ .

قـــال الأب : أما ما وضع البشر منها فهي كفر وإلحاد ، وأما ما أنزله الله على أنبيائه فقد كانت أديانا صحيحة حتى حرفها متبعوها أو أبطلها الله ﷻ فأصبحت جميعاً باطلـــة وقد نسخها الإسلام وليس غير الإسلام للبشرية من دين وقد تلت علينا أمك من قبل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾ والآية الكريمة تؤكد أنه لا دين اليوم إلا الإســـلام وقـــد كان آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا ﴾[1] فقد اختار الله لنا الدين ورضي لنا الإسلام وليس للبشر أن يخرجوا عن هذا الاختيار ولا أن يتجاوزوا هذا الرضا .

قـــال الأب : التوحيد هو معرفة الله سبحانه وتعالى ووصفه بالوحدانية والفردية وعدم مشابهة الخلق مع الإيمان بالرسل والأنبياء والكتب والملائكة وما إلى ذلك من خصال التوحيد التي تحدثنا عنها في أسمارنا السابقة والتوحيد ليس مرادفا لكلمة الإيمان أو الإسلام أو الدين ، وهو من أفعال القلب واللسان يبينه ، ولكنه قد يطلق على الإسلام أو الإيمان أو الدين من باب إطلاق الجزء على الكل لأن التوحيد أصل الإسلام .

قالت الأم : وعلى هذا الأساس جرى أبو حفص في عقيدة التوحيد حين قال : " أن ســـأل ســـائل فقال ، ما أصل الدين ؟ فقل : الدين هو التوحيد ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾ والإسلام لا يتم إلا بقول وعمل "[1] .

قال نجيب : لقد فهمت هذا الموضوع فهماً جيداً يا أبي .

قالت الأم : إن علماء الإسلام قد كتبوا عن معاني هذه الكلمات كتابات طويلة وقدموا عنها مباحث شيقة ممتعة ولا يسع المسلم إلا أن يطلع على كثير منها فإن فيها متعة للقلب والروح .

قال نجيب : سوف اعتني بدراسة كثير منها يا أماه .

---

(١) سورة المائدة الآية : ٣ .

(١) مقدمة التوحيد : ٢١-٢٣ ..

قالت الأم : وفقك الله يا بني ويسر لك كل أمر عسير .

التفت نجيب إلى أبيه وقال : قد كنا نتحدث عن التوحيد وهذا القسم يتعلق بالقلب واللسان فهل هنالك قاعدة عامة تجمع الفرائض العلمية في الإسلام ، اعني ما يتعلق منها بالجوارح .[٢]

قال الأب : لقد وضع أبو حفص عمرو بن جميع لذلك عنوانا فقال : " أسهم الإسلام ثمانية : الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، والعمرة ، والجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر " [٣].

قال نجيب : من أين نستمد أحكام الإسلام ، أو بتغير ثان : ما هي مصادر التشريع الإسلامي [٤]؟

قال الأب : هي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، والإجماع .

قال نجيب : إنني أعرف القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ولكنني لا أعرف معنى كلمة الإجماع فما هو الإجماع يا أبي ؟

قال الأب : إن تجتمع الأمة الإسلامية على حكم .

قال نجيب : وهل يمكن أن تتفق الأمة كلها على حكم يا أبي ؟

قال الأب : لقد تجوزت في التعبير حين قلت الأمة وإنما أعني العلماء المجتهدين في عصر حكم ما و لم يخالفهم أحد حتى انقضى عصرهم أصبح ذلك الحكم حجة شرعية .

قال نجيب : وهل جميع أحكام الإسلام موجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع المسلمين يا أبي ؟

---

(٢) نذكر منها – مثلا – كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي ، خاصة كتاب " المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم "

(٣) مقدمة التوحيد : ٤٠-٤٣ .

(٤) للتوسع أنظر مؤلفات العلماء المسلمين في " أصول الفقه " نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر :

أ- " المستصفى " لأبي حامد الغزالي .

ب- " مصادر الشريعة الإسلامية " للدكتور علي جريشة .

قال الأب : إن ما لم يوجد له حكم في ذلك سلك به مسلك القياس .

قال نجيب : وما معنى القياس يا أبي ؟

قال الأب : أن يحمل شيء مجهول حكمه على شيء معلوم حكمه فيعطيان حكماً واحداً لأنهما يتفقان في علة الحكم وسببه .

قال نجيب : هل تذكر لي يا أبي أمثلة على ذلك ؟

قال الأب : كثير من المخدرات والمسكرات الموجودة اليوم لم يرد فيها حكم من الكتاب ولا السنة ولا الإجماع فلم تذكر بأسمائها .

قال نجيب : نعم .

قال الأب : وقد نص القرآن الكريم والحديث الشريف على تحريم الخمر .

قال نجيب : نعم .

قال الأب : وقد بين الحديث الشريف إن سبب تحريم الخمر هو الإسكار والتأثير على صفاء العقل .

قال نجيب : نعم :

قال الأب : فالقياس يقضي أن حكم كل ما كان سبباً في الإسكار والتأثير على صفاء العقل إنما هو التحريم .

قال نجيب : نعم .

قال الأب : والمخدرات مثلاً من أقوى المؤثرات على صفاء العقل ومن أعظم أسباب الإسكار فالحكم عليها التحريم .

قال نجيب : يعني أن المخدرات محرمة بالقياس على الخمر .

قال الأب : نعم يا ولدي وهذا مثل ضربته لك لتفهم معنى القياس .

قال نجيب : هذا واضح يا أبي فما هي الأسس التي ينبني عليها الإسلام ؟

قال الأب : هي أربعة أشياء يا ولدي .

قال نجيب : أود أن تشرحها لي واحداً واحداً يا أبي ؟

قال الأب :

الأول : أن تعـــرف ما لا يسعك جهله ، وان تعرف ما لا يسعك تركه وان تعرف انك مأمور بذلك ملزم به ، وان تعرف أن لك ثواباً على ذلك .

الثاني : أن تقوم بعمل جميع الفرائض عند حضور السبب ووجود الشرط وارتفاع المانع ، وأنت في ذلك ترجو ثوابه وتخاف من تركها عقابه .

الثالث : أن تقصد بعملك رضى الله وامتثال أمره .

الرابع : أن تكف عما لا يحل وتقف عندما لا تعرف وتترك جميع الشبه والمناهي .

قالـــت الأم : يقول أبو حفص عمرو بن جميع في عقيدة التوحيد : " فإن لك ما قواعد الإسلام فقل أربعة : العلم والعمل والنية والورع "(١) .

قال نجيب : وهل تكفي هذه الأسس لبناء الإسلام يا أبي ؟

قال الأب : لا يرتفع البناء إلا بأربعة أشياء أخرى يا ولدي .

قال نجيب : أود أن تشرحها لي واحدة واحدة يا أبي .

قال الأب :

الأول : الخضوع والانقياد إلى ما أمر الله .

الثاني : سرور القلب بقضاء الله والعزم على امتثال ما حكم الله به .

الثالث : الثقة في الله والاعتماد عليه وإظهار العجز عنده والاحتياج إليه .

الرابع : رد مفاتح الأمور كلها إلى الله تعالى .

قالت الأم : يقول أبو حفص بن جميع :

" وأركـــان الإسلام أربعة : الاستسلام لأمر الله والرضى بقضاء الله ، والتوكل على الله ، والتفويض إلى الله "(١) وقال البدر الشماخي في شرحها :

---

(١) مقدمة التوحيد ٣٤ .

((إن الخضـــوع غاية جميع الطاعة ، ومرجع العبادة ، وبه يحصل الإخلاص ، وان الرضـــا بالقضاء أصل الطاعة لأنه القبول والعزم على امتثال ما أمر الله به وسكون النفس إلى قضائه وقدره وترك السخط له نظراً إلى أن في قضائه حكمة عظيمة ، ومصلحة جليلة لكنها خفية علينا ، ومن رضي استراح وهدى ، وحكم الله ماض ، وأما التوكل فأن تثق بمـــا عـــند الله تعالى وتوطن نفسك أن قوام بيتك وسد خلتك إنما هو من عند الله لا من أحـــد، وأنه لا يفوتك ما قسم لك ، وأما التفويض فردك الأمر إلى من بيده التدبير وفاتح الأمور العالم بالمصالح ، فيختار لك ما هو أصلح)) [٢].

قال نجيب : لقد أوضحت يا أماه قواعد الإسلام بما نقلته لنا من كلام أبي حفص فهل هناك شيء يتميز به الدين ؟

قال الأب : إن الناس بالنسبة إلى الدين ثلاثة أقسام .

قال نجيب : أود أن تذكر لي الأقسام الثلاثة يا أبي .

قال الأب :

الأول : هـــو المسلم ، وهو المصدق بجميع ما سبق من أمور التوحيد المقر بذلك ، العامل بما جاء في الإسلام الموفي بدين الله .

الثاني : المنافق أو الكافر كفر نعمة ، وهو المقر بالتوحيد وبجميع ما جاء به الإسلام ولكنه خـــائن في العمل بارتكابه للمعاصي ويلخص بعض العلماء هذا القسم بقوله : المنافق هو من جاء بالقول وضيع العمل .

الثالـــث : المشرك ، وهو من لم يقر بأصل من أصول التوحيد أو من كانت معه خصلة شرك .

قال نجيب : هذا واضح يا أبي فهل هناك شيء يحرز به المؤمن دينه .

---

(١) مقدمة التوحيد : ٣٦ -٣٧

(٢) مقدمة التوحيد : ٣٦ .

قال الأب : يحرز [١] المؤمن دينه بثلاثة أشياء .

قال نجيب : أود أن تشرحها لي يا أبي .

قال الأب :

الأول : أن يتولى من علم منه خيراً .

الثاني : أن يبرأ ممن علم منه شراً .

الثالث : أن يجتنب جميع المعاصي ، وان يقف فيما لا يعرفه حتى يعرفه .

قال نجيب : هل للدين حدود يا أبي[٢] ؟

قال الأب : نعم يا ولدي إن له أربعة حدود .

قال نجيب : ما هي يا أبي ؟

قال الأب :

الأول : معرفة ما لا يسع الناس جهله طرفة عين وهو التوحيد .

الثاني : فعل ما لا يسع الناس تركه وهو جميع الفرائض .

الثالث : ترك ما لا يسع الناس فعله وهو جميع المعاصي .

الرابع : الوقوف عما لا يعرف حتى يعرف .

قال نجيب : يعني إن الإنسان إذا عرف التوحيد وعمل جميع الفرائض وترك جميع المعاصي وتوقف فيما لا يعرفه حتى يعرفه فقد عمل بما يوجبه الإسلام وكان موفياً بدين الله .

قال الأب : نعم يا ولدي .

قال نجيب : وهل للكفر أسس ينبني عليها ؟

---

(١) يحرز : يحفظ ويصون .

(٢) للتوسع ينظر " حد الدين ثلاثة " مقدمة التوحيد ٤٩ .
بالمقارنة نجد أن المؤلف أضاف الحد الرابع وهو " الوقوف عما لا يعرف حتى يعرف " فجعلها أربعة حدود .

قال الأب : نعم يا ولدي .

قال نجيب : أود أن تذكرها لي واحداً واحداً .

قال الأب :

الأول : الجهل أي جهل ما لا يسع جهله من التوحيد والفرائض وغيره .

الثاني : العصبية أو حمية الجاهلية : وهي إعانة المبطل على باطله باللسان أو المال أو البدن أو السلطة ، وهي أيضا الأنفة من قبول الحق ، اعتزازا بالمال أو الجاه أو السلطان وهي أيضا الاعتزاز بالقبيلة أو القومية أو العنصرية أو ما أشبه ذلك من المعاني أو الأعمال التي تحمل الإنسان على عدم الانقياد للحق .

الثالث : الكبر : وهو احتقار الناس والتسلط عليهم بالازدراء والإهانة ، وتسفيه الحق ممن قاله أو فعله .

الرابع : الحسد وهو تمني زوال النعمة عن الغير .

التفت نجيب إلى أمه وقال : هل تذكرين شواهد على هذه القواعد يا أماه ؟

قالت الأم : يقول أو حفص بن جميع :

((**وقواعد الكفر أربعة الجهل والحمية والكبر والحسد**)) [١]وقد أستشهد العلامة التلاتي [٢]في حديثه عن الجهل بالأحاديث الشريفة الآتية ((**لا جهل ولا تجاهل في الإسلام**)) [٣] و ((**الجاهل لا يحسن العمل**)) [٤]و ((**ليس في الجنة جاهل ولا ديوث ولا قلاع ، ولا قاطع شفعة ولا مدمن على خمر ولا قاتل النفس التي حرم الله تعالى**)) [٥].

---

(١) مقدمة التوحيد : ٣٧ –٣٨ .

(٢) مقدمة التوحيد : ٣٧ .

(٣) لم يعثر عليه في المعجم المفهرس .

(٤) لم يعثر عليه في المعجم المفهرس .

(٥) رواه ابن ماجه بلفظ مغاير في باب الأشربة .

وأورد أبـــو العباس [٦] في حديثه عن الحمية الأحاديث الآتية : ((**هلاك أمتي في العصـــبية**)) [٧] و ((**وتهلــك من هذه الأمة ست بســـت خصال : الأمراء بالجور ، والأغنـــياء بالكبر ، والعلماء بالتحاسد ، والتجار بالخيانة ، والعرب بالعصبية ، وأهل الرساتق بالجهل**)) [٨] و ((**من تعز بعزاء الجاهلية فعضوه بهن أبيه ولا تكنوا**)) [٩].

أما على الكبر والحسد فقد أحتج الشارحان بآيات من القرآن الكريم .

قـــال نجيب : أن هذه الخصال يدل الشرع والعقل على قبحها ولكن هل يرتفع بناء الكفر على الأسس فقط يا أبي ؟

قال الأب : ليرتفع بناء الكفر كاملاً يحتاج إلى أربعة أشياء أخرى .

قال نجيب : أود أن تذكرها لي يا أبي ؟

قال الأب :

الأول : أن يأخذ الإنسان من غير حق ويمنع من غير حق أو أن يعمل على الحصول على ما لا يحل له .

الثانـي : أن يخاف الإنسان من الفقر فيمنع حقوق الله أو أن يصانع ذا سلطان بما يسخط الـــرحمان ويجـــاز به فيما يريد من ظلم خوفاً على مال أو قريب أو صديق أو أن يساير شخصاً مهما كانت صفته في ارتكاب محرم من فعل أو قول أو أن يفقد الشجاعة الأدبية حـــتى يضعف عن الصراحة في الحق ويصيبه الخور فلا يعلن كلمة الحق وحكمته ، مجاراة للناس ومسايرة لهم .

الثالـث : الشـــهوة وهو حركة النفس لطلب الملاذ ، والشهوة إلى المتعة المحرمة اعظم ما ينكب به الإنسان وأعني بالمتعة المحرمة كل ما يستمتع به الإنسان من ملاذ الحياة كشهوة

---

(٦) مقدمة التوحيد ٣٨ .

(٧) لم يعثر عليه في المعجم المفهرس .

(٨) لم يعثر عليه في المعجم المفهرس .

(٩) رواه " أحمد بن حنبل بلفظ " فعضوه ولا تكنوه .

الـــبطن من أنواع الأكل والشراب وشهوة الفرج وشهوة النفس من المال والجاه والسلطة وما إلى ذلك .

الرابع : الغضب وهو حركة النفس طلباً للانتقام ولقد قال الرسول ﷺ لرجل طلب منه أن يعظه (لا تغضب ولك الجنة) [١].

قال نجيب : صدق رسول الله ﷺ .

قال الأب : هل بقي لك شيء يا نجيب .

قال نجيب : هذه هي الأسئلة التي خطرت لي الآن .

قالت الأم : حسبنا الليلة سمراً .

قال الأب : صدقت يا أم نجيب فقد كانت جميع الأسئلة التي وجهها نجيب أسئلة دسمة أرجو أن يكون فهمها .

قال نجيب : إنني سأذهب الآن إلى مكتبي لأسجل المناقشة التي دارت بيننا حتى أرجع إليها قبل أن تعقدا لي امتحانا .

قـــال الأب : قـــم يا ولدي لتنجز عملك وتريح نفسك فقام نجيب وألقى تحية المساء على أبويه وانصرف ولا يزال ذهنه مشغولاً ببعض المباحث التي دارت في الحديث .

---

(١) رواه البخاري في باب الأدب ، والترمذي وغيرهما .

الليلة الثانية عشر

- مراجع عامة لليالي السابقة .
- حدود ومعاني بعض الكلمــات والعبارات العقدية :

١- النية ، ٢- الإيمــان ، ٣- الإســلام ، ٤- الديــن ،
٥- التوحيــد ، ٦- الشــهادة ، ٧- العلم المفــروض ،
٨- الظن ، ٩- الشك ، ١٠ — الولاية .
١١- البراءة ، ١٢ — الوقوف ، ١٣- الفرض والواجب ،
١٤- إيمان توحيد وإيمان غير توحيد .
١٥- الإيمان قول وعمل ، ١٦- الإلزام الموسع والمضيق .
١٧- الكفر على وجهين .
١٨- شرك الجحود وشرك المساواة .
١٩- نفاق الخيانة ونفاق التحليل والتحريم .

- حكم الملل الست .
- الخاتمة .

الليلة الثانية عشر

اجتمعت الأسرة كالعادة ، وأحضرت الأم أواني الشاي الليبي ، ولما جلست افتتحت الحديث فقالت : أرى يا أبا نجيب أن تعود إلى أسمارنا السابقة فتشرح لنا بعض ما تحدثنا عنه و لم نستوف عنه الحديث .

قـــال الأب:بل يحسن أن يحدثنا نجيب عن تلك الأسمار وقد نوجه إليه أثناء ذلك أســئلة فإن أجاب بالصواب كان ذلك المطلوب وإن أجاب بالخطأ صححنا له ما أخطأ فيه.

قالت الأم : حسناً ! هو ذلك .

قـــال نجيب : إني أذكر سمر ليلة والمواضيع التي تناولناها على الإجمال ولكما أن توجها إلي أسئلتكما .

قال الأب : إذن فابدأ باسم الله .

قال نجيب :

الليلة الأولى : تحدثـــنا فيها عن كيفية الغسل وعن البلوغ ، وعن وجوب الإيمان بالله بطرية العقل .

قال الأب : وعماذا تحدثنا في **الليلة الثانية** .

قـــال نجيب : تحدثنا عن معرفة توحيد الله وما يجب في حقه تعالى وما يجوز وما يستحيل .

قال الأب : هل تذكر ما هو أول الواجبات .

قال نجيب : هو معرفة الله تعالى .

قال الأب : وما هي مواضيع **الليلة الثالثة** .

قـــال نجيـــب : تحدثنا عما يجب أن يعتقده المسلم في الله وجودا أو عدم ، نفياً وإثـــباتا ، وعن الجملة التي يدعو إليها رسول الله ﷺ ، وعن قيام الحجة السماعية ، وعن الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام ، وبالكتب المترلة عليهم وعن حكم دماء المسلمين وأموالهم وحكم دماء المشركين وأموالهم .

قال الأب : هل تذكر الأنبياء الذين يجب معرفتهم بالتفصيل .

قال نجيب : يجب أن نعرف سيدنا محمداً ﷺ وسيدنا آدم عليه السلام بالتفصيل ونعرف من الكتب المترلة القرآن الكريم فهذا لا يتم التوحيد إلا بمعرفته ، أما بقية الأنبياء والرسل والكتب فيجب الإيمان بهم على الجملة إلا من قامت الحجة .

قال الأب : عماذا تحدثنا في **الليلة الرابعة** ؟

قال نجيب : تحدثنا عن كيفية نزول الوحي وعن الإيمان بالأنبياء والرسل والكتب والملائكة وعن الإيمان بالحقائق المترابطة .

قال الأب : ماذا تعني بالحقائق المترابطة ؟

قال نجيب : هي الموت والبعث والحساب والثواب والعقاب .

قال الأب : ولماذا سميتها الحقائق المترابطة ؟

قـــال نجيـــب : لأن كل واحدة منها مرتبطة بالأخرى ومترتبة عليها ، فالبعث مرتـــبط بالموت ومترتب عليه والحساب مرتبط بالبعث ومترتب عليه والثواب والعقاب مرتبطان بالحساب ومترتبان عليه .

قالت الأم : لقد أحسنت في هذا التعريف يا ولدي فهو من تعبيرك أنت .

قال الأب : عماذا تحدثنا في **الليلة الخامسة** ؟

قال نجيب : تحدثنا عن وجوب معرفة أن الله بطاعته وأوجب عليها الثواب ونهى عن معصيته وأوجب عليها العقاب وتحدثنا عن الولاية والبراءة والوقوف .

قال الأب : فعماذا تحدثنا في **الليلة السادسة** ؟

قـــال **نجيب** : تحدثنا عن تحريم مسايرة الفساق والمنافقين في المعصية وتحدثنا عن مقارنة المعصية واستحلالها وتحدثنا عن ولاية البيضة وبرائتها .

قال الأب : فما هي الأحاديث التي دارت بيننا في الليلة السابعة .

قال نجيب : لقد كان حديثنا في **الليلة السابعة** عن القضاء والقدر .

قال الأب : فماذا تناول حديثنا في **الليلة الثامنة** ؟

قـــال **نجيب** : تحدثنا عن المنكر الحكم من أحكام الإسلام وعن المستحل لما حرم الله وعن المقارف للمعصية وأجرينا مقارنه في المعاصي ثبت بها تفاوتها في الفحش والفظاعة وتفاوت حكم العقوبة عليها .

قال الأب : فما هو سمر **الليلة التاسعة** ؟

قـــال **نجيـــب** : تحدثنا عن حكم المستحل لما حرم الله بتأويل الخطأ وعن حكم الناســـي وحكم الجاهل وعما لا يسع جهله طرفة عين وعما يسع جهله إلى الورود وما يسع جهله دائما ، وعن الإلزام المضيق والإلزام الموسع وعن معنى مقارفة المعصية .

قال الأب : فماذا تناول حديثنا في **الليلة العاشرة** ؟

قال نجيب : تناول حديثنا في تلك الليلة العاشرة التفريق بين كبائر الشرك وكبائر النفاق والطاعة والمعصية ولمن والدلائل ، والخوف والرجاء .

قال الأب : فماذا تحدثنا في **الليلة السابقة** .

قال نجيب : تحدثنا عن معنى الإيمان والإسلام والدين والتوحيد وتحدثنا عن أسهم الإسلام حسب الاصطلاح الذي وضعه أو حفص بن جميع ، وتحدثنا عن مصادر التشريع الإسلامي ، وتحدثنا عن الأسس التي ينبني عليها الإسلام ، وتحدثنا عن الأشياء التي يرتفع بها بناء الإسلام ، وتحدثنا عما يتميز به الدين ، وتحدثنا عما يحرز به المسلم دينه ، وتحدثنا عن حدود الدين ، وتحدثنا عن الأركان التي ينتهض بها الكفر .

قال الأب : أحسنت أيها الولد الذكي فلقد لخصت أهم المواضيع التي تناولناها بالحديث في أسمارنا السابقة .

قال نجيب : هذا كل ما استطعت تذكره الآن ولو زدتني سؤالاً آخر ما استطعت عليه جواباً .

قالـــت الأم : وهي تمد الشاي إلى زوجها وولدها : لقد وفقت في الامتحان يا ولـــدي وأجبـــت إجابـــات مرضية ومع ذلك فإنني عازمة أن أثير أسئلة عن معنى بعض الكـــلمات ليشرحها أحدكما حتى نتأكد أننا درسنا مواضيع سمرنا دراسة كاملة واضحة مفهومة .

قال الأب : حسناً تفعلين .

قال نجيب : إنني سوف أسجل ما تسألين عنه وما تجابين به .

قال الأب : أو لم تكن تفعل ذلك كل ليلة بعد السمر ؟

قال نجيب : كنت أفعل ذلك بعد أن ينتهي السمر وقد أنسى بعض النقط الدقيقة والملاحظات اللطيفة أما إذا كتبت أثناء الحديث فإنني سوف أسجله كما يدور بيننا .

قال الأب : افعل ما تراه أيسر لإفادتك يا بني .

قـــال نجيب : وقد أعد قلماً وورقاً ، إنني في انتظار أسئلتك يا أماه فإنها لابد أن تكون شيقة ومفيدة وان تكون إجابات أبي وافية وواضحة .

قال الأب : كأنكما اتفقتما أن تجريا لي امتحانا .

قال نجيب : كما يمتحن الأبناء آباءهم والتلاميذ أستاذهم .

قال الأب : أما وقد اتفقتمـــا فلا بأس ، هيا أسألي أيتها الزوجة الفيلسوفة .

قالت الأم : فأنا أذكر الكلمة وأنت تذكر تعريفها أو تشرح معناها .

قال الأب : موافق يا ستي فابدئي .

قالت الأم : كل عمل خلا من النية فهو باطل فما هي النية ؟

قال الأب : النية هي إخلاص العمل لله وطلب المترلة عنده .

قالت الأم : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ (1). فما هو الإيمان ؟

قال الأب : هو التصديق بالخالق ومعرفة توحيد الله وعبادته والعمل بما يقتضيه ذلك التصديق .

قالت الأم : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾ (*)فما هو الإسلام ؟

قال الأب : هو الخضوع والانقياد لأحكام الله والامتثال لأوامره ولا يكون ذلك كاملاً إلا إذا صدر من القلب واللسان والجوارح .

قالت الأم : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ (**)فما هو الدين ؟

قال الأب : الدين هو أن تعرف ما أوجب الله عليك وما نهاك عنه وان تطيعه في أمره ونهيه .

قالت الأم : إن سأل سائل فقال ما أصل الدين فقل الدين هو التوحيد فما هو التوحيد ؟

قال الأب : التوحيد هو إثبات الوحدانية للخالق .

قالت الأم : فما هي كلمة الشهادة ؟

قال الأب : هي الجملة التي يدعو إليها رسول الله ﷺ وهي أن يشهد المكلف إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله وان ما جاء به حق من عند الله وتسمى كلمة التوحيد أيضا .

---

(1) سورة الحجرات الآية : ٧ .

(*) سورة آل عمران الآية : ١٩

(**) سورة المائدة الآية : ٣ .

قالـــت الأم : العــلم فريضة على كل مسلم فما هو العلم المفروض على جميع المسلمين .

قـــال الأب : العلم هو معرفة الأشياء على حقيقتها والمفروض منه هو معرفة ما يجـــب أن يعتقده الإنسان ويقربه وما يجب عليه عمله وما يجب عليه تركه وما يجب عليه عمله الوقوف فيه .

قـــالـــت الأم:﴿ *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَـــنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ* ﴾ [(١)]فما هو الظن ؟

قال الأب : هو ترجيح أحد أمرين ممكنين .

قالت الأم : ومن أنكر جملة من الأنبياء فهو مشرك والشاك في شركه مشرك ، فما هو معنى الشك ؟

قال الأب : الشك هو التردد بين الطرفين وعدم ترجيح أحدهما على الآخر ؟

قالـــت الأم : ﴿ *يَـــا أَيُّهَـــا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا للهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا* ﴾[(١)] فما هي الولاية ؟

قال الأب : الولاية هي المحبة وفي الاصطلاح الشرعي هي محبة المسلمين الموفين بدين الله .

قالت الأم : ﴿ *بَرَاءَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّـــم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ* ﴾ [(٢)]ما معنى البراءة ؟

قال الأب : هي المنابذة والخلوص والابتعاد وفي الاصطلاح الشرعي بغض أعداء الله جميعاً وعدم الركون إليهم .

---

(١) سورة الحجرات الآية : ١٢ .

(١) سورة النساء الآية : ١٤٤ .

(٢) سورة التوبة الآية : ١

قالت الأم : المؤمن وقاف فما معنى الوقوف ؟

قـــال الأب : الوقوف إن لا يقدم الإنسان على شيء يجهل حكمه وان لا يبادر إلى حب أو بغض من لا يعرفه .

قالت الأم : ترد في الكتب كلمة الفرض والواجب فهل هما كلمتان مترادفتان ؟

قال الأب : أكثر العلماء يرى أهما تستعملان لمعنى واحد ويقول بعضهم إن ما وجب بالقرآن هو الفرض وما وجب بالسنة وهو الواجب .

قالت الأم : يرد في الكتب أن الإيمان توحيـــد وغير توحيد فما معنى ذلك ؟

قـــال الأب : الإيمـــان الذي هو توحيد هو التصديق بالجمل الثلاثة والإقرار بها وســـائر خصـــال التوحيد التي تحدثنا عنها في الأسمار السابقة ، أما الإيمان الذي هو غير توحـــيد ففعـــل جمـــيع الفـــرائض والسنن والنوافل تقربا لله تعالى وترك جميع المحرمات والمكروهات طاعة لله تعالى .

قالت الأم : يرد في الكتب أن التوحيد قول وعمل فما معنى هذه العبارة ؟

قـــال الأب : يعني إن التوحيد تصديق بالقلب والتصديق من عمل القلب وإقرار باللســـان فـــلا يغني التصديق عن الإقرار ولا يغني الإقرار عن التصديق ، فلابد أن يجتمع القول الذي هو إقرار باللسان وعمل وهو التصديق بالجنان .

ويقول المحققون أن العمل شامل للاعتقاد والعمل بالجوارح لأن الاعتقاد من عمل القلـــب ، والقيام بالفرائض بأنواعها هو العمل من الجوارح ، هذا ما يدل عليه الكتاب والسنة .

قالت الأم : يرد في الكتب إن الإلزام على وجهين : موسع ومضيق ، فما معنى هذه العبارة ؟

قالـــت الأم : الإلزام هو التكليف والمضيق هو ما كان وقته غير زائد على فعله وذلك كالتوحيد وآخر أوقات الفرائض ، والموسع هو ما كان وقته أوسع من فعله أو زائد

على فعله وذلك كتفسير معاني التوحيد وأوائل أوقات الفرائض ، وقد تعرض أبو العباس الشماخي لهذين السؤالين فقال : " الإلزام يكون توحيد أو غير توحيد ، والتوحيد يكون قولاً وعملاً كما تقدم بيانه ، وغير التوحيد إما فرض مضيق أو موسع ، أو فرض عين أو تخيير أو كفاية "[١] .

قالت الأم : تردد في الكتب كلمتا الوعد والوعيد فما معناها ؟

قال الأب : إن الوعد والوعيد هو إجراء الخير والوعيد هو إجراء العقوبة أما أنا فأقول إن الوعد في الدنيا معناه تقرير الثواب وفي الآخرة هو تحقيه وان الوعيد في الدنيا هو تقرير العقاب وفي الآخرة هو تنفيذه .

قالت الأم : يرد في الكتب إن الكفر على وجهين فما معنى هذه العبارة ؟

قال الأب : إن كلمة الكفر تطلق على أحد معنين فهي إما أن تكون بمعنى الشرك وإما بمعنى النفاق وعندما تطلق كلمة الكفر على الموحدين فيعني بها النفاق وهو ما يعبر عنه بعض العلماء بكفر النعمة وأهل الحديث بكفر دون كفر .

قالت الأم : يرد في الكتب أن الشرك على وجهين : شرك جحود وشرك مساواة فما معنى هذه العبارة ؟

قال الأب : شرك الجحود وهو إنكار وحدانية سبحانه وتعالى أما شرك المساواة فهو مساواة الله سبحانه وتعالى بخلقه في صفة أو فعل أو ذات تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قالت الأم : يرد في الكتب أن النفاق على وجهين : نفاق خيانة ونفاق تحليل وتحريم فما معنى هذه العبارة .

قال الأب : نفاق الخيانة هو تضييع الفرائض وارتكاب الكبائر بشهوة .

ونفاق التحليل والتحريم : هو قول غير الحق وارتكاب بتأويل وديانة .

---

(١) مقدمة التوحيد ٩٨ .

قالت الأم : بقي لي سؤال واحد أرجو أن تتناوله بشيء من التفصيل .

قال الأب : إنني لن أذكر كلمة واحدة قبل أن أشرب كوب الشاي .

قالت الأم : وأنا الأخرى أريد أن أشرب كوباً ثم أخذت الإبريق وأفرغت منه ثلاثة أكواب مدت منها لزوجها وولدها وأخذت لنفسها وأخذ أفراد الأسرة يرتشفون الشاي في تلذذ وصمت وبعد أن أتم الزوج ارتشاف الكأس تنحنح وقال :

هيا أيتها السائلة الملحاحة هات ما عندك .

قالت الأم : أنعم الله عليك أيها الزوج الصبور .

قال نجيب : وهو يبتسم ، هل أسجل هذه الدعوة الحارة يا أماه .

قالت الأم : وهي تبتسم لا يا ولدي فإن هذه الدعوة تسجلها الملائكة ويستجيب الله لها .

قال نجيب : فماذا أسجل ؟

قالت الأم : سجل ما يأتي أيها الولد الذكي ، ثم التفتت إلى زوجها **وقالت** : يرد في الكتب أن الملل ست[1] فما معنى هذه الكلمة .

قال الأب : الأصل في ذلك قوله تعالى : ﴿ *إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا* [2] *وَالصَّابِئِينَ* [3] *وَالنَّصَارَى* [4] *وَالْمَجُوسَ*[5] *وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ* ﴾ [6] فقد ذكرت الآية الكريمة ملل ست طوائف من الناس وهم الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى والمجوس والذين أشركوا .

---

(١) للتوسع في حكم الملل الست أنظر " فصل في الملل الست " في مقدمة التوحيد ٧٨ .

(٢) الذين هادوا : اليهود أهل التوارة . والمرسل إليهم موسى عليه السلام .

(٣) الصابئون : الذين يقرأون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة ؛ قيل : هم قوم يصبون أي يميلون من دين إلى دين .

(٤) النصارى : أهل الإنجيل ، والمرسل إليهم عيسى عليه السلام .

(٥) المجوس : قوم يعبدون الشمس والقمر وينكحون ذوات المحارم ويزعمون أنهم على شريعة آدم .

(٦) سورة الحج الآية : ١٧ .

قالت الأم : هل تختلف الأحكام على هؤلاء ؟

قال الأب : بطبيعة الحال فإن الإسلام قد أبطل جميع الأديان التي سبقته وعلى الأمة المسلمة أن تبلغ دعوة الله إلى غيرها من الأمم والشعوب .

قالت الأم : وهل بقية الأديان متساوية في أجراء الأحكام عليها ؟

قال الأب : إن أهل الأديان الأخرى ينقسمون إلى ثلاثة أقسام بالنسبة إلى موقف الإسلام منهم .

قالت الأم : هل لك يا أبا نجيب أن تشرح ذلك بشيء من التفصيل ؟

قال الأب : إن أهل الملل إما أن يكونوا أصحاب كتاب أو مشركين أو مذبذبين بين أهل الكتاب والمشركين .

قالت الأم : هل تضرب لهذه الأقسام أمثلة ؟

قال الأب : إن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى والصابئون والمذبذبون هم المجوس ، أما بقية أصحاب الملل الأخرى فهم مشركون كالوثنيين والطبيعيين وغيرهم ممن يكفر بالله .

قالت الأم : فما هي الأحكام الخاصة بأهل الكتاب ؟

قال الأب : إذا رضي أهل الكتاب بحكم الإسلام وخضعوا لقوانينه وأعطوا الجزية للدولة المسلمة وسكنوا في بلدان الإسلام فإن حقهم على المسلمين أن لا يؤذوهم وأن يسمحوا لهم بالقيام بعباداتهم وطقوسهم الدينية وان يعطوهم الحرية الكاملة في العمل من أجل الحياة وحل للمسلمين أن يتزوجوا من نسائهم وأن يأكلوا من ذبائحهم شريطة أن تكون تحت رقابة المسلمين ، أما إذا لم يكونوا تحت حكم المسلمين فحكمهم حكم المشركين فلا يحل التزوج من نسائهم ولا أكل ذبائحهم ولا أن يفتحوا لهم مجال الحياة الحرة في ديارهم ، انهم معارضون لدعوة الله وكل من اعترض سبيل الله يجب أن يقف معه المسلمون موقف الصرامة والشدة .

قالت الأم : فماذا تقول في هؤلاء الشباب الذين يتزوجون كل يوم من أوربا ؟

قال الأب : ماذا أقول غير أهم ارتكبوا أفظع جريمة في حق دينهم وحق وطنهم .

قالت الأم : انهم يستندون إلى قوله تعالى : ﴿ ***الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ[1] وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ*** ﴾ [2].

قال الأب : استمعي إلى ما يقول أحد علماء الإسلام المعاصرين في تفسير هذه الآية الكريمة : ((وهنا نطلع على صفحة جديدة من صفحات السماحة الإسلامية فالإسلام لا يكتفي بأن يترك أهل الكتاب لما يعتقدون إلا أن يفيئوا هم إليه راضين ، لا يكتفي بأن يترك لهم هذه الحرية ، ثم يعتزلهم فيصبحون في المجتمع الإسلامي مجفوين [3] معزولين إنما يشملهم بجور المشاركة الاجتماعية ، والمودة والمجاملة والخلطة فيجعل طعامهم حلالا للمسلمين وطعام المسلمين حلالا لهم كذلك ليتم التزاور والتضايف والمخالطة الاجتماعية السمحة ، وكذلك يجعل العفيفات من نسائهم طيبات للمسلمين ، يقرن ذكرهن بالعفيفات من المسلمات وهي سماحة لا يفيض بها إلا الإسلام من بين سائر الأديان ، فإن الكاثوليكي المسيحي ليتحرج من نكاح الأرثوذكسية البروتستانتية أو المسيحية المارونية ولا يقدم على ذلك إلا المتحللون عندهم من العقيدة .

وهكذا يبدوا إن الإسلام هو العقيدة الوحيدة التي نسمح مع المحافظة عليها في الضمير بقيام مجتمع عالمي لا عزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الكتابية الأخرى ولا حواجز بين أصحاب العقائد المختلفة التي تظلها راية المجتمع الإسلامي .

---

(١) مسافحين : من السفاح وهو الزنا والفجور .

(٢) سورة المائدة الآية : ٥ ، وتمام الآية وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

(٣) مجفوين : من الجفو وهو الغلظ في المعاشرة .

قال نجيب : لم تذكر يا أبي صاحب هذا التفسير الرائع .

قـــال الأب : هو عالم مسلم غيور يسمى سيد قطب جاهد في إعلاء كلمة الله بلسانه وقلمه وأوذي في ذلك أذى كثيراً .

قالـــت الأم : لقـــد لاحظت أنه يشترط أن تقوم هذه العلامات تحت ظل راية المجتمع الإسلامي وهو يقرر إن هذا النظام إنما يقوم في رعاية المجتمـــع الإسلامي [1].

قال الأب : أما سيدنا عبد الله بن عمر [2]فكان لا يجيز نكاح الكتابية وهي على ديـــنها مطلقـــاً وكان يجيب إذا سئل عن ذلك بقوله تعالى : ﴿ ***وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ*** ﴾ [3].

ويقول أنه لا شرك أعظم من قول النصارى أن عيسى ربهم .

وأمـــا الآيـــة التي قلت إن بعض الناس يستندون إليها؛ فقد قال فيها ابن عمر إن المقصود من الآية الكريمة حلية نكاح المرأة التي كانت كتابية وأسلمت وقد قال بهذا الرأي جمـــع كبير من علماء الإسلام واحتجوا لذلك بقوله تعالى : ﴿ ***لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ*** ﴾ [1].

---

(١) في ظلال القرآن ٢/ ٨٤٨ .

(٢) عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي : من كبار الصحابة ، أسلم ولم يبلغ الحلم وهاجر مع أبيه إلى المدينة ، وكان كثير الإقتداء بالرسول ﷺ ، قيل انه ألم الصحـــابة بمناسك الحج ، ومن المكثرين في رواية الحديث .

توفي بمكة سنة ٦٣ هـــ وهو ابن ٨٤ بسبب جرح أصابه من حربة مسمومة أعدها له رجل من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٢١

(١) سورة المجادلة الآية : ٢٢

وقال في حكمة الزواج وما ينتج عنه بين الزوجين : ﴿ *وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ* ﴾ (٢).

فإن العلاقة بين المرء وزوجه يجب أن تكون علاقة مودة ورحمة وان العلاقة بين المسلم وأعداء الله يجب أن تكون الكراهية والبغض فدلت الآية الكريمة على أنه لا يحل تزوج الكتابية لأنها محادة لله ولا يخلوا زوجها من مخالفة إحدى الآيتين .

قالت الأم : أليس في هذا شيء الشدة والعسر ؟

قال الأب : إنه ليس للإنسان أن يغير أحكام الله لأنها لا توافق طبيعته أو تفكيره ولكنه على كل حال فقد ذهب المعتدلون من علماء الإسلام إلى التيسير حسبما تريدين وأباحوا أن يتزوج المسلم الكتابية وان يأكل من ذبائحهم وطعامهم ولكن ذلك لا يجوز إلا عندما يكون هؤلاء الكتابيون عائشين في المجتمع الإسلامي راضين بحكمه خاضعين لنظامه دافعين لما يترتب عليهم من حقوق .

قال نجيب : يخرج من هذا النقاش أنه لا يجوز للمسلم أن يتزوج الأجنبية ولا أن يأكل ذبائحهم .

قال الأب : هذا ما يجب أن تعرفه وان يعرفه جميع المسلمين وان يعلموا به وان كل من يدجل باسم الإسلام ويحل للناس ما حرم الله من طعام ونكاح فهو مضلل أثيم وانه لمن المؤسف أن يتلقف الناس آية من كتاب الله فيذهبون في تأويلها وتفسيرها حسبما تهواه أنفسهم وتمليه شهواتهم وأغراضهم ثم يجحدون ثم يجدون من يبيح لهم ذلك ممن يزعم أنه أوتي الفهم والعلم .

قالت الأم : وما هي الأحكام الخاصة بالمشركين ؟

---

(٢) سورة الروم الآية : ٢١ .

قال الأب : إن المشركين لا يقيم معهم المسلمون أية علاقة إما أن يقبلوا الإسلام ويدخلـــوا في ديـــن الله تعالى وإما أن يعلن الحرب عليهم وان يكونوا أعداء الله ولرسوله وللمسلمين .

قالت الأم : فما أحكام المجوس ؟

قال الأب : يدعون إلى دين الله فإن استجابوا وآمنوا فهم إخواننا في الدين وإن امتنعوا عن الإيمان ورضوا بحكم الإسلام ودفعوا الجزية فلهم أن يعيشوا تحت رعاية النظام الإسلامي ولكن المعاملة معهم لا ترتفع إلى معاملة أهل الكتاب فلا يحل نكاح نسائهم ولا أكل ذبائحهم حتى وهم تحت إشراف الأمة المسلمة .

قالـــت الأم : يعني إن الحكم عليهم وسط بين أهل الكتاب والمشركين فتصان دماؤهم وأموالهم إذا دفعوا الجزية ويحرم نكاح نسائهم وأكل طعامهم حتى وهم يعيشون ضمن المجتمع الإسلامي .

قال الأب : هذا صحيح ولكن هذه المعاملة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والصائبين أو المجوس لا تعني أنهم غير مشركين ولذلك فهم يتساوون في الحكم مع المشركين إذا لم يكونوا خاضعين لأحكام الإسلام قال الله تعالى : ﴿ ***يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً***[1] ***فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ*** ﴾[1].

---

(١) العيلة : الفقر والحاجة .

(١) سورة التوبة الآية : ٢٨-٢٩ .وتمام الآية " عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ " .

فـــأهل الكتاب كما ترى مشركون ولكنهم مشركون عندما يفيئون إلى الإسلام ويحتمون بحكمه فإن الإسلام يسبغ عليهم الأمن والسلام والعدالة والحرية والحياة الكريمة مراعاة لاستنادهم إلى كتاب من كتب الله ولو أنهم حرفوه و لم يعملوا به .

قالــت الأم : يظهر أنني أخذت منكما وقتا طويلاً وإنني أشكر لك يا أبا نجيب هذه المعلومات القيمة وارجوا من ولدي أن يقتدي بأبيه وان يزيد عليه في الجد والإطلاع لا سيما وأسباب المعرفة اليوم ميسرة أكثر منها بالأمس .

قال الأب : إنه واجبي أيتها المرأة الصالحة .

قـــال نجيـــب : أطـــال الله بقاءكما وعافيتكما وأقدرني على البر بكما وقضاء حقوقكما ثم قام فألقى عليهما تحية المساء وانصرف قرير العين .

الخَاتِمَة

﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾

سورة آل عمران / ٨

قائمة المحتويات

موجز عن حياة المؤلف

- ولد سنة ١٩١٩ بمدينة نالوت بليبيا .
- تلقى تعليمه الابتدائي بكتّاب قريته ، ثم لازم الشـــيخ رمضان بن يحيى الليني .
- حوالي سنة ١٩٣٧ سافر إلى الجزائر وأقام سبع سنوات بمعهد الحياة مرابطاً في ساحة العلم طالباً وأستاذاً .
- شغل بليبيا مهنة مدرس ثم تدرج حتى حصل على وظيف مرموق في الوزارة .
- اتجه منذ شبابه إلى التأليف في شتى الميادين من العقيدة والفقه والأدب والتاريخ إلى السياسة والاجتماع . واصدر كتباً ورسائل وبحوثاً .. تمتاز بالإبداع والإتقان . منها المطبوع ومنها المخطوط . نذكر منها :

١- الإباضية في موكب التاريخ (٤ حلقات) .

٢- الإباضية بين الفرق الإسلامية .

٣- الأقانيم الثلاثة .

٤- أجوبة وفتاوى .

٥- الفتاة الليبية ومشاكل الحياة .

٦- مسرحية " ذي قار " سياسية ..

توفى رحمه الله في ١٦ / ١ / ١٩٨٠ م .

